سلسلة روايات المهمة المستحيلة
العدد الرابع

مخيم الرعب

بقلم
م/ محمد البديوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

عندما تنطلق بسرعة الضوء..

يتوقف الزمن..

وتتلاشى المسافات..

وتختفي الحواجز..

ويتساوى الماضي والمستقبل..

داعب هذا الحلم خيال الكثيرين..

غير أن أحدًا لم يستطع تحقيقه..

رجل واحد فعل..

وانطلق يطارد الشر أينما كان..

من الماضي السحيق..

إلى المستقبل البعيد..

وهب حياته للقيام بتلك المهمة...

المهمة المستحيلة..

م/ محمد البديوي
mobasel333@gmail.com

1

بلا رحمة..

بأصابع مرتعشة أخذ ذلك المُسِن الذي تجاوز السبعين من عُمره يضبط موجة إحدى المحطات الإخبارية بذلك الـ(الراديو) المتهالك الذي يملكه منذ عقود والذي التفت حوله أسرته التي استبد الرعب بكيانها والجمها الخوف بحيث فرض عليها صمتًا رهيبًا رزحت تحته نظرات مذعورة أخذ الجميع يتبادلونها فيما بينهم بعد عدة أيام من القصف الوحشي للمدفعية الإسرائيلية لمخيم (شاتيلا) للاجئين الفلسطينيين جنوب (بيروت) كان الرجل يتوق لمعرفة أي شيء عن مصيره هو وأسرته وماذا قرر العالم أن يفعل بشأنهم بعد أن رحل (ياسر عرفات) وقوات منظمة التحرير الفلسطينية منذ ١٤ عشر يومًا بعد وعد أمريكي بحماية اللاجئين الفلسطينيين بالمخيمات الفلسطينية بلبنان ولكن قذائف المدفعية الثقيلة للجيش الإسرائيلي فضحت المؤامرة التي تورط فيها الجميع ضد الفلسطينين وعلى مدار عدة أيام ظلت تلك الأسرة

المسكينة حبيسة كوخها الصغير خشية أعمال القنص التي تجري بالخارج فلقد أخذ الجنود الإسرائيليون في قنص كل ما يتحرك في شوارع المخيم حتى القطط والكلاب قاموا بقنصها من فوق التلال المحيطة بالمخيم وفجأة صاح (إسماعيل) ابن الخمسة عشر ربيعًا:

- أبي..أبي.. السماء تتوهج بالضوء على نحو غريب!!

دوت تلك الكلمات بجوف الكوخ الصغير والتصق (إسماعيل) بشباكه الوحيد ومن خلف زجاجه القديم تعلقت عيناه على سماء المخيم التي أشرقت فجأة وكأن شمس الظهيرة باغتتها على حين غرة رغم تجاوز الوقت الثانية بعد منتصف ليل السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٨٢ وفجأة انفتح باب الكوخ عنوة واقتحم المكان ثلاثة مسلحين يرتدون زيًا عسكريًّا يحمل الشارات المميزة لميليشيات (الكتائب)[١] كانوا يحملون بنادق الكلاشنكوف وفي يد كل منهم بلطة

(١) الجناح العسكري لحزب الكتائب اللبنانية، أكبر الأحزاب المسيحية في لبنان تأسس كحركة قومية شبابية سنة ١٩٣٦ على يد (بيار الجميّل) كانت الحركة مستوحاة من الحزب النازي الألماني وذلك بعد زيارة مؤسسه لألمانيا خلال الحقبة النازية ليشارك بالألعاب الأولمبية تحول إلى حزب سياسي سنة ١٩٥٢.

في ١٣ أبريل ١٩٧٥ قامت ميليشيات حزب الكتائب بنصب كمين لحافلة كانت تقل فلسطينيين إلى مخيم تل الزعتر مرورًا بمنطقة عين الرمانة أدّى الكمين إلى مقتل ٢٧ فلسطينيًا سميت الحادثة بحادثة البوسطة والتي كانت بمثابة الشرارة لبدء الحرب الأهلية في لبنان.

فلسطينية وفتحت النار على من فيها فقتل عشرات الفلسطينيين.

في ٦ ديسمبر ١٩٧٥ قامت الميليشيات المسيحية (الكتائب) بوضع نقاط تفتيش في منطقة مرفأ بيروت وقتلت المئات من الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين بناء على بطاقات الهوية التي كانت آنذاك تدون مذهب حاملها فيما عرف لاحقًا بالسبت الأسود.

في ١٨ يناير ١٩٧٦، قامت ميليشيات الكتائب باقتحام منطقة الكرنتينا ذات الأغلبية المسلمة والواقعة تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية والتي كان يسكنها أكراد وسوريون وفلسطينيون وقتلت ١٥٠٠ من سكان المنطقة.

في يونيو ١٩٧٦، كانت الميليشيات المارونية(المسيحية) على وشك الهزيمة فطالب الرئيس اللبناني(الماروني) وقتها سليمان فرنجية سوريا بالتدخل بحجة أن ميناء لبنان سيغلق وهو مصدر أساسي للمنتجات الواردة إلى سوريا الأمر الذي جعل سوريا في نفس صف إسرائيل و بدأت بدعم الميليشيات المارونية بالسلاح والدبابات والمستشارين العسكريين وبدعم سوري، استطاعت الميليشيات المسيحية اقتحام دفاعات مخيم تل الزعتر والذي كان تحت حصار وقصف متواصل طوال أشهر وقامت بقتل الآلاف من الفلسطينين مما أثار غضب العالم العربي ضد سوريا.

في ١٦ سبتمبر قامت ميليشيا الكتائب بقيادة (إيلي حبيقة) باقتحام مخيمي صبرا وشاتيلا وقتلت ما يقرب من ٣٥٠٠ فلسطيني بمساعدة الجيش الإسرائيلي الذي كان يحاصر المخيمين والذي كان يشعل القنابل المضيئة في السماء ليتمكن مقاتلي ميليشيات الكتائب من الرؤية طوال الليل.

حادة أخذت تلمع تحت ضوء الكوخ الخافت وقف أحدهم على باب الكوخ شاهرًا بندقيته في وجه الجميع وقد أرتسمت على وجهه نظرة تشفي بغيضة وصاح بشراسة:

- لقد حانت لحظة الانتقام أيها الإرهابيون ستتمنون أنكم لم تولدوا و....قاطعه (اسماعيل) بجرأة يعجز عنها أعتى الرجال في موقف كهذا حين صاح قائلًا:

- أنتم كلاب اليهود.. لسنا إرهابيون يا كلاب اليهود أنتم... وبتر عبارته فجأة حين اندفع أحد المسلحين وضربه بغل وحقد بالغين بالبلطة التي يحملها ليشق رأسه نصفين وهو يصيح:

- اصمت أيها الملعون.

لتشخص عينا (إسماعيل) وتندفع الدماء من رأسه في مشهد بشع وسط صراخ وعويل أسرته وتندفع أمه العجوز نحوه فأمسك بها المسلح الآخر وقيدها من الخلف وببشاعة منقطعة النظير أستل مديته وقام بدم بارد بذبحها من الوريد إلى الوريد لتنتفض المسكينة وتندفع الدماء من عنقها وتسقط صريعة وسط بركة من دمائها ويرتفع صياح قائد القتلة من أمام باب الكوخ:

- مرحي..مرحي.. ياجنود الرب.. مرحي يا جنود الانتقام فلتنتقموا لقائدكم فلتنتقوا بلارحمة لـ(بشير الجميّل) الذي قتله هؤلاء الإرهابيون.

وقف المسن المسكين وسط ذهوله يبكي وينتحب ويصرخ قائلًا:

- رحماك يا الله.. رحماك يا الله.

وقد أحاط ابنتيه بذراعيه وتشبثوا ببعضهم البعض وأخذوا يرتجفون من هول ما يجري وسط الضحكات الشيطانية التي أطلقها هؤلاء المجرمين ثم انتزع قاتل (إسماعيل) الطفل الرضيع من حضن أمه بعد أن صفعها وركلها بقوة فسقطت على الأرض وسط توسلاتها وصراخها ليمسك المجرم رضيعها من قدميه ويطوح به في الهواء وسط صراخاته المرتعبه ثم يضرب رأسه بقوة بالحائط ليتهشم رأسه الصغير وتندفع الدماء من عينه وأنفه وفمه ممتزجًا ببقايا حليب أمه في مشهد يُذهب بالعقول من هول فظاعته ثم يلقيه المجرم على الأرض صريعًا ولم تستطع أمه أن تتحمل تلك البشاعة ففقدت وعيها في الحال وجذب أحدهم شقيقتها من

شعرها بقسوة بالغة وقاموا بما تعجز عنه الحيوانات الضارية حين بقروا بطنها بالسكاكين وأخرجوا جنينها وقاموا بتمزيقه أمام عينها وهي تلفظ أنفاسها الأخير وصاح أحدهم بتشف بالغ وحقد صارخ:

- مت أيها الإرهابي الصغير.

ووسط عويل الأب المسن الذي لم يرحم المجرمون شيخوخته قاموا بتهشيم رأسه ببلاطيهم الحادة ليسقط صريعا مضرجًا في دمائه وقد تناثرت أجزاء من مخه على الحائط القريب منه وتسترد ابنته وعيها في تلك الأثناء وليتها مافعلت حيث قام مجرمي ميليشيا الكتائب بتمزيق ملابسها واغتصابها بوحشية ثم أطلقوا النار على رأسها بتبلد واضح وقام القتلة بإلقاء جميع الجثث أمام الكوخ على قارعة الطريق بعد أن مثلوا بها ببشاعة تفوق حد الجنون على أضواء القنابل المضيئة التي يطلقها الجيش الإسرائيلي لإنارة المخيم لتسهيل المهمة لهؤلاء السفاحين.

ومن أعلى سطح مبنى السفارة الكويتية المطل على المخيم أخذ (إيريل شارون) وزير الدفاع الإسرائيلي يطلق ضحكاته

الشيطانية وهو يتابع المذبحة من خلال إحدى نظارة الميدان ويصيح قائلًا لمن حوله من قادة الجيش الإسرائيلي:

- يالهؤلاء الكتائبيون أنهم بحق كلاب مسعورة.

ثم أخذ يربت بقوة على كتف (رفائيل إيتان) رئيس أركان الجيش الإسرائيلي واستطرد بمرح وكأنه يشاهد فيلمًا كوميديًّا وليست أبشع مجازر البشرية على الإطلاق:

- أحسنت يا (رفائيل)..أحسنت..لقد كان أختيار الكتائبيين اختيارًا رائعًا.

قال (رفائيل) وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة تشفي بغيضة:

- أنهم ضباع مسعورة يا (إريل) وجدت قطيعًا من الحملان.

وتعالت ضحكاتهم الشيطانية وتبادلوا كؤوس الشمبانيا في نخب انتصارهم الزائف في الوقت الذي أرتدى فيه بعضهم الحرملة وغطاء الرأس اليهودي المميزين وأخذوا يتمايلون للأمام والخلف وهم يقرأون التوراة ويشاهدون المذبحة بتبلد واضح وانعدام كامل للحس الإنساني.

2

اختـــراق..

وقف (بشير الجميّل) قبل تلك المجزرة بعشرة أيام يصرخ بهيستيريا:

- سنحرر لبنان من الاحتلال الفلسطيني..سنطهر أرضه المقدسة من هؤلاء الارهابيين..سنفعل حتى لو وقف العالم كله ضدنا.

انطلقت عاصفة من التصفيق الحاد للجماهير الغفيرة من أنصار حزب (الكتائب) اللبنانية والتي أحتشدت بمنطقة الأشرفية معقل الحزب ببيروت الشرقية[1] لسماع (بشير الجميّل) قائد ميليشيات (الكتائب) المارونية الجناح العسكري لحزب الكتائب اللبنانية الذي أسسه والده (بيار

(١) كان لبنان مقسم حيث كان الجنوب وغرب بيروت تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية والميليشيات المسلمة بينما كانت بيروت الشرقية والقسم المسيحي من جبل لبنان تحت سيطرة الميليشيات المسيحية وكان الخط الفاصل بين بيروت الغربية والشرقية يسمى الخط الأخضر.

الجميّل) منتصف ثلاثينات القرن العشرين على غرار الحزب النازي في ألمانيا كان (بشير) قد أطلق موجه من الكراهية ضد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان وعلى مدار عدة سنوات من قيادته لميليشيات (الكتائب) أرتكب العديد من المجازر ضد الفلسطينيين وكان هدفه من ذلك بث الرعب والذعر في نفوسهم لإجبارهم على ترك لبنان ويبدو أنه نجح وبقوة في تعبئة أنصاره وشحنهم وهو ماظهر بوضوح في تلك الهتفات العدائية التي أطلقتها الجموع الغاضبة التي نادت بالموت لكل ماهو فلسطيني أخذ (بشير) بزيه العسكري الذي لايحمل أي رتب من فوق تلك المنصة التي ترتفع ثلاث طوابق عن الأرض على غرار منصات (هتلر) في ألمانيا النازية يلوح بإحدى يديه لمؤيديه ويشير إليهم بعلامة النصر ويرفع باليد الأخرى إحدى بنادق الكلاشنكوف ومن فوق سطح إحدى البنايات القريبة أخذ شخص طويل القامة رياضي البنية يصوب بندقية من نوع خاص نحو بناية على يسار المنصة التي يقف فوقها (بشير) بين حرسه الخاص كانت البندقية تحمل في نهايتها سهمًا حديديًّا قصيرًا وفور أنطلاقه شق الهواء بصوت مميز وسحب خلفه حبلًا رفيعًا من الصلب

المرن وعبر الشارع الواسع واستقر في أحد حوائط المبني المقابل الذي يقل ارتفاعه عن المبني الذي انطلق منه السهم بطابق واحد أخذ الرجل يسحب الحبل الحديدي بقوة عدة مرات حتى تأكد من قوة تثبيته في المبنى المقابل وعلى الفور أخرج من حقيبة صغيرة كانت معلقة فوق ظهره حزامًا سميكًا ينتهى بخطاف معدني وقام بتعليق الخطاف بالحبل الحديدي ثم ارتدى الحزام الجلدي وقفز من فوق سطح المبني بمهارة واضحة واندفع جسده الرياضي بسرعة كبيرة قادمًا من على يمين المنصة وأمام مئات المحتشدين من أنصار (بشير الجميّل) الذين أصابتهم الصدمة والذعر التقط ذلك الرجل الطائر (بشير الجميّل) رغم ضخامة بنيته وانتزعه من بين حرسه الخاص من فوق تلك المنصة فأنتاب (بشير) الذعر وهو يتدلى في الهواء وقد أمسكت به قبضتين فولاذيتين وأخذ جسديهما يندفع بقوة باتجاه المبني على يسار المنصة والذي استقر به السهم الحديدي وفجأة دوى انفجار قوي نسف المنصة بمن فيها وتطايرت أشلاء الجثث في الهواء وتعالت صيحات الألم والرعب في الوقت الذي ترك فيه الرجل الحبل قبل الاصطدام بالمبنى بمتر واحد ليسقط هو و(بشير

الجميّل) من ارتفاع طابق واحد عن الأرض وبرغم حالة الذعر والهلع التي انتابت الجميع عقب ذلك الانفجار المروع إلا أن عشرات المسلحين من ميليشيا (الكتائب) اندفعت نحو (بشير) وقذفت به إلى داخل إحدى السيارات التي انطلقت كالسهم وهي تزمجر محدثة خلفها عاصفة من الأتربة والغبار في حين تم إلقاء القبض على الرجل الذي التقط (بشير) دون أن يبدي أي مقاومة وتم الزج به هو الآخر داخل إحدى السيارات التي انطلقت به إلى جهة غير معلومة وسط حالة من الذهول والرعب اجتاح منطقة الأشرفية معقل حزب الكتائب بعد ذلك الانفجار المزلزل.

بأحد أماكن الاحتجاز التابعة لميليشيات (الكتائب) المارونية ببيروت الشرقية أحاطت مجموعة من ثلاث عناصر تحمل البنادق الآلية برجل وسيم طويل القامة عريض المنكبين رياضي البنية وهو نفس الرجل الذي التقط (بشير الجميّل) وانقذه من موت محقق منذ قليل كان الرجل يجلس على أحد المقاعد بهدوء ملحوظ ومن خلف مكتب صغير أخذ (إيلي

حبيقة) رئيس الجهاز الأمني لميليشيا (الكتائب) والساعد الأيمن لـ(بشير الجميّل) يسأله بحدة بالغة:

- من أنت؟ ولحساب من تعمل؟ ولماذا تواجدت في موقع الانفجار؟

ابتسم الرجل بسخرية وأردف قائلًا:

- حتى أقوم بعملك أيها الفاشل.

ارتفعا حاجبا (إيلي حبيقة) دهشة وصاح بقوة:

- ماذا تقول أيها الأحمق هل تد... قاطعة الرجل بمزيج من التحدي والسخرية:

- أم تفضل أن أناديك بالخائن؟

استشاط (إيلي حبيقة) غضبًا واحتقن وجهه واستل مسدسه من جراب له أسفل أبطه وصوبه نحو ذلك الساخر وهو يصرخ في وجهه:

- فلتذهب إلى الجحيم أيها الوغد فـ..وبتر عبارته فجأة حين هب الرجل من مقعده بسرعة مذهلة وانتزع مسدس (حبيقة) بمهارة فائقة وصوبه نحو رأسه مباشرة وذلك قبل أن يستطيع أحدًا من المسلحين الثلاثة خلفه أن يحرك ساكنًا

وساد الارتباك بينهم بقوة في حين انتاب الذعر (إيلي حبيقة) والرجل يلصق المسدس برأسه ويهتف بصرامة:

- أريد أن أتحدث مع (بشير الجميّل) شخصيًّا أيها الفاشل.

ازدرد (إيلي حبيقة) لعابه بصعوبة وقال بصوت متحشرج:

- يوجد خلفك ثلاث بنادق مصوبة مباشرةً إلى رأسك وقبل أن تفكر في الضغط على الزناد ستكون في عداد الموتى.

ابتسم الرجل وأردف بتحدٍّ ساخر:

- هل تريد أن تختبر ذلك؟

ران الصمت للحظات قبل أن يقتحم المكان خمس رجال يحملون البنادق الآلية واتخذوا جميعًا وضعية إطلاق النار ومن خلفهم ظهر (بشير الجميّل) وقد قام باستبدال زيه العسكري المميز لميليشيات (الكتائب) وارتدى بنطلون (جينز) أزرق وقميص أبيض أنيق وأحاط خصره بحزام جلدي علق به مسدس ضخم وفي يده أمسك بجهاز لاسلكي وقال بغطرسة وغرور واضحين:

– ها أنا ذا فلتخفض سلاحك قبل أن يطلق رجالي النار على رأسك مباشرة.

كان (بشير الجميّل) يعاني من نرجسية صارخة وكل من تعامل معه عن قرب يستطيع أن يقسم أنه استحوذ لنفسه على كل غرور وغطرسة الأرض فلقد كان شخصًا متكبرًا مزهوًا بنفسه إلى حد الجنون للدرجة التي تجعله يهدد شخصًا انقذه من موت محقق منذ قليل إذا لم ينصاع لأوامره لا أن يقدم له الشكر والإمتنان وبلا أي تردد وبحركة شديدة المهارة لف الرجل المسدس بين أصابعه فاستدار مقبضه ناحية (إيلي حبيقة) بعد ما كانت فوهته مصوبه إليه ومد يده يناوله المسدس دون حتى أن ينظر إليه فاسترعى ذلك انتباه (بشير) وأخذ يحدق بالرجل بنظرات حادة وهنا صاح (إيلي حبيقة) في رجاله:

– اقتلوا هذا الوغد الـ....قاطعه (بشير) قائلًا بغضب عارم:

– اصمت أيها الأحمق لولا هذا الرجل لكنت الآن في عداد الموتى.

ألجمت تلك الكلمات (إيلي حبيقة) غير أنه هم بالحديث ثانيةً لولا أن استوقفته أشارة صارمة من (بشير) أعقبها بقوله:

- هل تعلم يا (إيلي) أنه يجب أن أطلق عليك النار فورًا بعد ماحدث اليوم في الأشرفية؟

جمدت تلك الكلمات الدماء في عروق (حبيقة) الذي يعلم جيدا مقدار الدموية والوحشية التي يتصف بها (بشير) وأنه لن يتردد لحظة في أن يطلق عليه النار لو أنه رغب في ذلك فاستجمع (حبيقة) شجاعته وبحركة مسرحية ألصق مسدسه برأسه وصاح بقوة:

- لو أنك تشُك لحظة في ولائي يا (بشير) فلتأمرني بأن أطلق النار على رأسي ولن أتردد لحظة.

نظر إليه (بشير الجميّل) بسخرية اكتست بها ملامحه الحادة وأردف قائلًا بتهكم:

- لا تتعجل الأمور يا (إيلي).

ثم تحدث في اللاسلكي قائلًا بصرامة:

- أدخلوهم الآن.

ولم يكد ينهى الاتصال حتى تم الزج بسبعة أشخاص تبدوا عليهم علامات التنكيل والتعذيب في أبشع صورها وفور رؤيتهم شحب وجه (إيلي حبيقة) فلقد كانوا أبرز مساعديه بالجهاز الأمني لجيش (الكتائب) وعلى رأسهم أخيه الأصغر (جوزيف حبيقة) وعلى الفور صاح (جوزيف):

- أقسم لك يا (بشير) أنني برئ ولم أتورط فيما جرى اليوم.

ثم نظر لأخيه (إيلي حبيقة) بتضرع وتوسل بالغين قائلًا:

- أخبره يا(إيلي)..أفعل شيئًا...أرجوك..سيقتلونني... أقسم لك أنه لادخل لي فيما حدث.

وانبرى الآخرين في التوسل والتضرع وطلب الرحمة إلا أن صاح (بشير) بقسوة بالغة:

- بالتأكيد يا(جوزيف) أنت ورفاقك لستم بخونة.

ثم حدق بهم بنظرات قاسية ورفع سبابته أمام وجهه وأشار إليهم بغطرسة بالغة وقال:

- لا يستطيع أحد خيانة (بشير الجميّل) حتى الشيطان نفسه لا يستطيع ذلك ولكن وكما تعلمون عني جيدًا أنه لا فرق لدي بين الفشل والخيانة فكلاهما سيلقى نفس المصير غير أن مع الخونة فأنني آمُر باغتصاب جميع نساء عائلاتهم وقتل كل من يمُت لهم بصلة ليكونوا عبرة لغيرهم.

ثم نظر لـ(حبيقة) وأردف بقسوة:

- تستطيع الآن أن تثبت ولاءك يا(إيلي) ولاتدعني أنتظر طويلًا.

شحب وجه (إيلي حبيقة) حين فهم مايريده (بشير) وأدرك على الفور أنه لاتوجد أمامه أي خيارات وبشكل مباغت أطلق النار على الأشخاص السبعة ومن بينهم أخيه (جوزيف حبيقة) فأرداهم جميعًا قتلى وأخذ ينظر لجثة أخيه بذهول لايصدق أنه قتله بيده للتو إلا أن انتزعه (بشير) من ذهوله بأن ربت على كتفه بقوة قائلًا بلامبالاة واضحة:

- هيا يا (إيلي) لدينا الكثير لنقوم به اليوم.

ثم أشار بازدراء للجثث الممدة على الأرض قائلًا لمن حوله:

تخلصوا من تلك الفوضى.

ثم حدق بالرجل الذي أنقذه اليوم قائلًا ببرود:

- الحقيقة ستمنحك حياتك ولاتختبر صبري حتى لاتندم لأنه لن يكون هناك متسع للندم.

ثم انطلقوا جميعًا يغادرون المكان.

- (موشي حاييم) عقيد بـ(الموساد).

نطق الرجل الذي انقذ بشير بتلك الجملة بالعبرية التي يتقنها (بشير) ولا يعرف (حبيقة) منها حرفًا.

بدا الشك واضحًا على ملامح (بشير الجميّل) الحادة ولاحظ الرجل ذلك في حين قال (حبيقة) بحدة:

- ماذا يقول هذا الرجل يا (بشير)؟

هم (بشير) بالحديث لولا أن استوقف الرجل قائلًا بالعبرية أيضًا:

- فلنتحدث على انفراد يا (بشير) فالأمر في غاية الأهمية والخطورة فأنا مبعوث من قِبل الجنرال (إيريل شارون) شخصيًّا وتأكيدًا لكلامي لقد قال لي سيادة الجنرال أنه همس

في أذنك وحذرك من استفزاز (مناحم بيجن) وذلك قبل أن يدخل عليكم قاعة الاجتماعات بثلاث دقائق بالاجتماع السري الذي عُقِد بـ(نهاريا)[1] لأن (بيجن) يعاني من أوجاع في الظهر وارتفاع في نسبة السكر في الدم.

وبالرغم من أن (بشير الجميّل) كان يعيش في حالة من الشك الدائم حتى مع أقرب المقربين إليه إلا أن ماسمعه للتو كان كفيلًا وبشكل قاطع أن يصدق هذا الرجل بل وأن يثق به ثقة عمياء فلانت ملامحه فجأة وبدا أكثر هدوءًا وقال لـ(إيلي حبيقة):

- فلتتركنا يا (إيلي).

كان الحزن المرير يعصف بـ(إيلي حبيقة) الذي قتل أخيه منذ قليل إرضاءًا لـ(بشير الجميّل) وتأكيدًا على ولائه فخيمت الكآبة على ملامحه بقسوة غير أن الدهشة استطاعت رغم ذلك أن تجد طريقها لوجهه وانبرى يقول بغضب واضح:

- كيف يا (بشير)!! لابد أن أعرف من هذا الرجل أنا رئيس الجهاز الأمني و...قاطعه (موشى) قائلًا بسخرية ولكن بالعربية هذه المرة:

(١) بلدة تقع شمال إسرائيل على حدودها مع لبنان.

– حسنًا يا (إيلي) أليست آخر عمولة أخذتها من صفقات السلاح القادم للحزب من بلغاريا ٥٠٠ ألف دولار مودوعة بحسابك البنكي رقم ١٩٧٦٣١٦ ببنك نوتردام بسويسرا؟ هل ستتركنا الآن أم تود سماع المزيد؟

شحب وجه (حبيقة) وزاغت عيناه وأخذ يحملق بـ(موشى) ببلاهة في حين أخذ (بشير الجميّل) يرمقه بنظرات نارية قبل أن يردف قائلًا:

– هل هذا صحيح يا(إيلي).

ارتبك (حبيقة) وأزدر لعابه بصعوبة وأخذ يتلعثم قائلًا:

– لا.. لا (يا بشير) أنه..أنه...قاطعه (بشير الجميّل) وقد اكتست ملامحه بغضب عارم ثم استل مسدسه الضخم وألصقه برأسه قائلًا بقسوة:

– ستسحب كامل حسابك وتودعه خزينة الحزب أيها الوغد وإلَّا أطلقت النار على رأسك.

اندفع (حبيقة) قائلًا بارتباك بالغ:

- لا تصدقه (يا بشير) إنه يحاول الإيقاع بيننا حتمًا إنه جاسوس لقد قتلت أخي الوحيد تأكيدًا على ولائي لك أنا رئيس الجهاز الأمني لـ(الكتائب) منذ ما.... قاطعه (بشير) بصرامة:

- لم تعد بعد يا (إيلي) أنت معزول من رئاسة الجهاز الأمني ولتغرب عن وجهي الآن قبل أن أطلق عليك النار أيها اللص.

هب (إيلي حبيقة) من مقعده وانصرف مصطحبًا معه كم هائل من الخوف والغضب من أن يُعطي (بشير الجميّل) الأمر بتصفيته بعد أن افتضح أمر العمولات الضخمة التي يأخذها من خلف ظهره والغضب من هذا الرجل الذي انشقت عنه الأرض فجأة ليهدم مكانته بالحزب وثقة (بشير الجميّل) به ويعصف بطموحه وتطلعاته، أخذ (بشير الجميّل) يحدق بـ(موشي حاييم) قبل أن يردف بامتنان بالغ وهو ما لم يعتاده أبدًا في حياته أن يمتن لأحد أو يشكره:

- سيأتي اليوم الذي أستطيع أن أكافؤك على إنقاذك حياتي وسيكون ذلك قريبًا جدًّا.

أردف (موشي حاييم) ببرود:

- أخشى أن ذلك ربما لايأتي أبدًا أن لم نتحرك بسرعة.

بدا القلق والدهشة يعلوان وجه (بشير) غير أن ثقته بـ(موشى حاييم) بقت على حالها لاستحالة معرفة أحد ما بما دار بينه وبين (شارون) همسًا بغرفة الاجتماعات بـ(نهاريا) سوى شخص أخبره (شارون) نفسه بذلك غير أن (بشير) كان مخطئًا..خطأً قاتلًا في واقع الأمر لأن (شهاب) كان يعلم أيضًا.

3

الثعلب..

– ماذا تقول يا (إيلي)؟! عزلك (بشير) من رئاسة أمن الكتائب!! كيف حدث ذلك بحق الشيطان؟!

نطقت تلك الفاتنة الحسناء صاحبة القوام الفاره والجمال الصارخ (فيولا بطرس) رفيقة (إيلي حبيقة) ومديرة مكتبه بتلك الجملة وقد ارتفعا حاجباها الرفيعين واتسعت عيناها الزرقاء الجميلة بدهشة بالغة من داخل فيلة (حبيقة) بحي الأشرفية وهمت أن تتحدث لولا أن قاطعها (حبيقة) بغضب جم:

– ليت الأمر توقف عند ذلك الحد يا (فيولا) لقد أطلقت النار على أخي (جوزيف) فقتلته إرضاءًا لهذا الوغد ولكن ذلك لم يشفع لدى ذلك الحقير وأمرني بتحويل كامل حسابي لخزينة الحزب بعد أن فضح ذلك الشيطان أمر عمولات صفقات السلاح البلغاري وربما قد أعطى (بشير) الأمر بتصفيتي.

انتاب الذعر (فيولا) وظهر ذلك على ملامح وجهها الفاتن وهي تقول:

- ألهذا الحد وصلت الأمور بينكم؟ ومن يكون ذلك الرجل الذي أنقذ بشير هلـ.... قاطعها بغضب:

- فليكن ذلك الشيطان ما يكون ولكنني لن أقف مكتوف الأيدي منتظرًا القتل على يد أوغاده فلدي رجالي بداخل الميليشيا وجهازها الأمني.

أردفت (فيولا) وقد بدأت تتمالك هدوء أعصابها:

- يجب أن ندرس خطواتنا بحكمة يا (إيلي) حتى لا نخسر كل شيء، مسألة العمولات ليست بالأمر المهم، أنا أعلم كيف يفكر (بشير) جيدًا، كل ما أغضبه أن ذلك تم من وراء ظهره ونستطيع أن نفكر في عذر لتبرير ذلك (بشير الجميّل) شخص مغرور ومتكبر وليس ذكيًا على الإطلاق ولاتنسى أنك صديق عمره فلتنتظر حتى تهدأ ثورته وتذهب إليه وتصحح معه الأمور أنت مرشح قوى لمنصب وزاري مهم بعد استلام (بشير) لمنصب الرئاسة لاتضيع كل شيء من يدك يا (إيلي) في لحظة غضب.

نظر إليها بتوتر بالغ:

- وماذا لو... قاطعته بهدوء:

- إذا استطعت كشف مؤامرة اغتياله وتقديم المتورطين إليه ستتحسن الأمور بكل تأكيد لا تفكر في أي حماقات لأنه لن يكون هناك أي فرصة وقتها حتى لمجرد الندم والبداية الصحيحة هي أن تعرف من يكون ذلك الشخص الغامض.

أخذ (حبيقة) ينظر إليها وقد علت الحيرة وجهه وهو يقلب مسدسه بين أصابعه ويغمغم بشرود:

- ولكن ياترى ما علاقة (شارون) بالأمر؟

حدقت (فيولا) بوجهه وقد استرعى اسم (شارون) انتباها بشدة وهي تسأل باهتمام بالغ:

- (شارون)!!.. هل تقصد وزير الدفاع الإسرائيلي نفسه (إيريل شارون)؟

- تخلى عني الجميع!! ماذا يعني ذلك بحق الجحيم؟

نطق (بشير الجميّل) بتلك العبارة باندهاش بالغ وهو يحدق بـ(شهاب) أو (موشى حاييم) كما يعتقد وقد علت

وجهه ملامح الاستنكار والاستهجان وهم بالحديث غير أن (شهاب) بادر بقوله:

– لقد هدد الاتحاد السوفيتي بالتدخل عسكريًّا وبشكل مباشر في لبنان إذا هاجمت إسرائيل القوات السورية وطردتها من لبنان ورضخت أمريكا لهذا التهديد وقررت منع إسرائيل من مهاجمة الجيش السوري ولأن أمريكا أيدت وباركت فوزك بمنصب الرئاسة فلا تستطيع بعد ذلك التخلي عنك فقررت وببساطة ترك أعدائك السوريون يقومون بالتخلص منك لأن أمريكا بالطبع لن تحارب الاتحاد السوفيتي وتُشعل حرب عالمية ثالثة من أجلك.

انتاب الذعر (بشير الجميّل) وبدا ذلك بوضوح على ملامحه الحادة وهم بالتحدث غير أن (شهاب) استوقفه باشارة من يديه قائلًا بصرامة:

– مهلًا يا (بشير) حتى أنتهي فالوقت يمر في غير صالحك.

ثم استطرد قائلًا:

- أيضًا ضغطت دول الخليج على أمريكا بسلاح النفط وخشت أمريكا أن تتكرر أزمة عام ١٩٧٣ حين قطع العرب البترول عن أمريكا وحلفائها أثناء حرب (يوم كيبور) مساعدةً لمصر في حربها ضدنا وطالبوا بمنعك من الوصول لمنصب الرئاسة لما اقترفته ميليشيات الكتائب بقيادتك من مجازر ضد المسلمين السنة في لبنان على حد قولهم وأكدوا أن لبنان لن تستقر أبدًا ما دمت رئيسًا لها لأن المسلمين السنة في لبنان لن يتوقفوا عن القتال وفي النهاية طلبت أمريكا من (مناحم بيجن) التوقف عن دعمك مقابل تسوية ترعاها أمريكا والاتحاد السوفيتي تضمن لإسرائيل بموجبها أمن حدودها الشمالية عن طريق خلق منطقة أمنية بطول حدود إسرائيل مع لبنان وبعرض ٤٠ كيلومتر حتى تكون إسرائيل بعيدة تمامًا عن مدى صواريخ المقاومة الفلسطينية وتشرف على تأمينها قوات من الأمم المتحدة ووافق (بيجن) على ذلك وأمر (الموساد) بالتوقف عن الاتصالات معك وهو مايوضح لماذا سحبت أمريكا عناصر الـCIA التي كانت قوم بحراستك وسمح الجميع للمخابرات السورية بالتخلص

منك وهو ماكانوا سينجحون فيه اليوم وتنطوي صفحة (بشير الجميّل) نهائيًّا لولا تدخل الجنرال (إيريل شارون).

كانت الصدمة مفزعة بالنسبة لـ(بشير الجميّل) ففي لحظات ينهار عالمه ويتخلى عنه حلفاؤه وتذهب أحلامه أدراج الرياح إلا أنه تمالك نفسه واندفع يسأل:

- ولكنك من (الموساد) كما قلت فكيف...قاطعه (موشى):

- لم أنته بعد يا (بشير).

ثم استطرد:

- أنا في مهمة غير رسمية كلفني بها سيادة الجنرال (إيريل شارون) فهو يثق بي بقوة فلقد خدمت معه في آخر حربين ضد مصر ولقد انتقلت للعمل بـ(الموساد) بتوصية شخصية منه لرئيس (الموساد) وهو يدعمك وبقوة لدرجة أنه يعمل الآن ضد إرادة دولة إسرائيل بأكملها ويغامر بكل تاريخه العسكري الحافل من أجلك وقد أمرني أن أبلغك بأنه لن يكون هناك أي اتصالات بينكم في الوقت الراهن لأن (الموساد) أوقف العمل بخطوطه التليفونية الآمنة التي

بحوزتك وأي اتصال من خط عادي سترصده المخابرات المعادية بسهولة ولدي الجنرال خطة وضعها بنفسه ويجب أن تقوم بتنفيذها حرفيا والنجاح مضمون وسيتحول الموقف ١٨٠ درجة لصالحك ولكن ذلك مرهون فقط بالتزامك الحرفي بخطط الجنرال والسرية التامة.

بدا الذهول على وجه (بشير الجميّل) وهو يحدق بـ(شهاب) ويردف قائلًا:

- حسنًا.. حسنًا ومتى نبدأ؟

استطرد (شهاب) قائلًا بصرامة:

- في الحال يا (بشير).. في الحال فنحن في سباق مع الزمن.

٤

الإسرائيليون..

- كيف حدث هذا بحق الشيطان!!

صاح (إيريل شارون) وزير الدفاع الإسرائيلي بتلك العبارة في ثورة غضب عارمة عندما أخبره (ديفيد كمحي) رئيس (الموساد) بمحاولة إغتيال (بشير الجميّل) صباح اليوم فسارع (كمحي) بالقول:

- اطمأن يا (إيريل) لم يصب (بشير) بخدش و... قاطعه (شارون) بمزيد من الغضب:

- اللعنة.. (بشير الجميّل) على وشك توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل وسيتم تأمين حدودنا الشمالية للأبد كما فعل (حيروم) ملك صيدا مع نبي الله سليمان لقد حاربت عدة سنوات لإنجاح ذلك وهاأنت وجهازك اللعين تفسدون الأمر كله أين كان (الموساد) يا (كمحي)؟

كان (شارون) متأثرًا وبقوة بقصة (حيروم) ملك صيدا الذي عقد حلفاً مع نبي الله سليمان وكان يرى في

(بشير الجميّل) أنه (حيروم) هذا العصر وذلك لولائه التام لإسرائيل وإعجابه الشديد بقدرتها على إنشاء دولتها وسط ورغم أنف أعدائها العرب وكثيرًا ما كان يذكر (شارون) تلك القصة للساسة في إسرائيل، احتقن وجه (ديفيد كمحي) غضبًا وصاح في وجه (شارون):

- (الموساد) ليس جهازًا لعينًا يا (إيريل) كل نجاحات جيش الدفاع بفضل (الموساد) والمعلومات التي يوفرها له والأخطاء يمكن أن تحدث في أي وقت وفي أي جهاز في العالم.

ضرب (شارون) بقوة سطح المكتب الذي يجلس خلفه كمحي براحته اليمني صائحًا بغضب:

- ولكن توجد أخطاء قاتلة يا(كمحي) ماذا كنا سنفعل لو قُتِل (بشير الجميل)؟ (بشير) لن يكون مجرد رئيسًا لبنانيًا متفاهمًا مع إسرائيل فحسب أنني أشعر في أحيانًا كثيرة أنه إسرائيلي مثلنا أنه يؤمن بقوة في حق إسرائيل في الوجود ومعجب لأقصى حد بنجاحنا في إقامة دولتنا رغمًا عن المحيط العربي المعادي لنا بل أنه يستلهم من تجربتنا ويعتبرها مثلًا

يحتذي به هذا ماأكده لي أكثر من مرة كما أن جميع أفعاله تؤكد ذلك.

أردف (كمحي) بتوتر بالغ:

- أكثر مايحيرني أنني أحاول الاتصال به منذ أن علمت بمحاولة اغتياله صباح اليوم ولكن دون جدوي فخطوط الهاتف الآمنة لاتعمل وخبراء (الموساد) التقنيين يأكدون أنه تم تعطيلها من لبنان أي من عند (بشير).

اندفع (شارون) يقول بحدة:

- اللعنة..ماذا يعني هذا أيضًا يا(كمحي)؟

ناوله (ديفيد كمحي) ملفًا به عدة ورقات وهو يقول بتوتر:

- ليس هذا كل شيء فلتقلي نظرة على هذا التقرير.

ألقى(إيريل شارون) نظرة سريعة على التقرير ولم يكد يفعل حتى أنعقدا حاجبيه بشدة وصاح قائلًا:

- ماذا!! شخص غامض يتحدث بالعبرية هو من انقذ بشير !! ما هذا الهراء بحق الشيطان !!

استطرد (ديفيد كمحي) بثقة:

- مصدر تلك المعلومات هو (إيلي حبيقة) نفسه.

نظر إليه (شارون) واستطرد بحدة:

- ومصدرك أنت يا(كمحي) هل تثق به؟

اندفع (كمحي) قائلًا بقوة:

- إنها أمهر وأذكى عملاء (الموساد) في لبنان وتم زرعها داخل حزب الكتائب منذ ثلاث سنوات حتى أنها شاركت في قتال الفلسطينيين ضمن صفوف (الكتائب) وبعد إصابة وهمية أفتعلتها بمهارة تم نقلها لعمل إداري ولقد طلبت في استدعائها على الفور لمعرفة مايحدث.

ولم يمضي كثير من الوقت حتى دلفت لمكتب (كمحي) فاتنة شقراء ذات جمال صارخ وأنوثة طاغية اشار إليها (كمحي) بالجلوس وأردف قائلًا:

- تعرفين بالطبع الجنرال (إيريل شارون) وزير الدفاع.

نظرت إليه وقد علت وجهها ابتسامة خلابة وهي تقول:

- وهل يوجد إسرائيلي واحد يجهل سيادة الجنرال أنه بطل إسرائيل القومي.

بدا (شارون) باردًا ولم يعلق بشيء في حين أردف (كمحي) وهو يشير إليها بنظرات لاتخلو من الإعجاب:

- (راشيل شلومو) أو (فيولا بطرس) كما هي معروفة كمديرة لمكتب (إيلي حبيقة) هي من كتبت ذلك التقرير.

نظر إليها (شارون) وقال بجدية:

- وما رأيك أنت يا(راشيل) فيما حدث؟

قالت وهي تنفس دخان سيجارتها بحيرة بالغة:

- لايمكن سوى لضابط مخابرات قوي أن يفعل مافعله ذلك الرجل ياسيدي هذا كان رأي (حبيقه) نفسه فانقاذه لـ(بشير الجميّل) من موت محقق على هذا النحو من الجسارة والبراعة وقبل وقوع الانفجار بلحظات وأيضًا علمه بأمر صفقات السلاح وحساب (حبيقه) السري ببنوك سويسرا كل ذلك يؤكد عمله بأحد أجهزة المخابرات القوية.

أردف (كمحي) قائلًا:

- وأي جهاز يتبع في رأيك؟

أردفت (راشيل) بتوتر واضح:

– أخشى أنني لا أستطيع الجزم بشيء فالمعلومات المتوفرة عنه أولية وغير كافية على الإطلاق لتحديد هويته والغريب أنه كان يتحدث بالعبرية ورغم أن (حبيقة) لا يتحدثها فلقد استطاع أن يميز اسمك ضمن حديث ذلك الرجل مع (بشير).

عقد (شارون) حاجبيه بشدة وأردف باندهاش:

– اسمي أنا!! ماذا يعني ذلك؟.

ثم استطرد موجهًا حديثه لـ(راشيل) باهتمام:

– وماذا ينوي (حبيقة) أن يفعل بعد أن عزله (بشير) من منصبه؟

(راشيل): (إيلي حبيقة) أرعن وكان يفكر في عمل انقلاب داخل الحزب ضد (بشير) مستعينًا برجاله داخل الميليشيا والجهاز الأمني غير أنني أثنيته عن ذلك إلى أن أتلقي تعليمات عما يجب فعله.

اندفع (شارون) يقول بقوة:

– أحسنت.. أحسنت يا (راشيل) أن أمن (بشير الجميّل) أولوية قصوى حتى ولو تطلب ذلك التخلص من (حبيقة) نفسه.

أردف (كمحي) بهدوء رصين:

- ستكون مهمتك من الآن فصاعد يا (راشيل) هي تحديد هوية ذلك الشخص المجهول عن طريق الاتصال والتعامل معه بشكل مباشر وعلى ضوء ما سيتضح سنحدد ما إن كنا سنقوم بتجنيده أو التخلص منه ومطلوب منك النجاح في تلك المهمة وبأي ثمن يا (راشيل)..بأي ثمن..هل تفهمين؟.

ثم انتزع (شارون) سلاحه الشخصي ومد يده يناوله لـ(راشيل) وهو يقول بصرامة بالغة:

- لقد خضت ثلاث حروب وكان هذا السلاح رفيقي فلتتطلقي النار فورًا على ذلك الرجل لو شعرت للحظة أنه يمثل خطر على (بشير).

٥

الخطة..

احتشدت العديد من الكاميرات التليفزيونية وعشرات الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء العالمية وعدد ضخم من عناصر ميليشيا الكتائب المدججين بالسلاح لتأمين المؤتمر الصحفي الذي دعا لعقده الرئيس اللبناني المُنتخب (بشير الجميّل) في أول ظهور له بعد نجاته من محاولة الإغتيال الفاشلة التي تعرض لها بالأمس وفور ظهوره وسط حشد من حرسه الخاص انهالت عليه كاميرات التصوير ولاحقته كاميرات التلفزة العالمية وقد أرتدى حلة سوداء أنيقة أخفت أسفل منها قميصًا واقيًا من الرصاص وفور وصوله للمنصة أشار للجميع بعلامة النصر قائلًا بقوة:

– حتى الموت لا يستطيع أن ينال من عزيمتي فليحاول الجبناء قتلي كما يشاؤون ولكن ذلك لن يثنيني عن تحرير لبنان والدفاع عن ترابه المقدس وأنني لأعلن أمام العالم أنني لن أكون رئيسًا للبنان المحتل ويجب وعلى الفور أن تنسحب

القوات الإسرائيلية والقوات السورية من كل الأراضي اللبنانية التي تحتلها كما أنني أؤكد وبقوة أنني لن أعقد اتفاقية سلام مع إسرائيل إلا إذا وافق عليها رئيس وزراء مسلم وحازت الأغلبية في مجلس النواب اللبناني وأن ترضى عنها كل الطوائف اللبنانية مجتمعة.

ثم أخذ يجاوب عن اسئلة الصحفيين التي تدفقت عليه بغزارة بعد التحول الكامل في موقفه بالنسبة لإسرائيل التي وصفها لتوه بقوات احتلال تحتل أجزاء من أرضه شأنها في ذلك شأن ألد أعدائه سوريا أخذ قادة الكتائب ينظرون لبعضهم البعض باندهاش بالغ في حين قال (إيلي حبيقة) الذي حضر المؤتمر بغضب:

- لقد جُن (بشير) !!...أنه يهذي!! لقد ساوى بين إسرائيل التي ساعدتنا وطردت الإرهابيين الفلسطينيين من لبنان بقوات الاحتلال السوري!! وعن أي رئيس وزراء مسلم يشترط أن يوافق على اتفاقية سلام مع إسرائيل!! مستحيل أن يحدث ذلك أن المسلمون في لبنان يحلمون منذ عقود بالوحدة مع سوريا وتقسيم لبنان.

أخذ (شهاب) يتابع (بشير) من بين الحشود التي جاءت لحضور المؤتمر وقد ارتسمت فوق شفتيه ابتسامة ذات مغزى وهو يغمغم قائلًا:

- أحسنت يا (بشير) لقد كتبت نهايتك بيدك..يدك التي تقطر منها دماء الأبرياء.

نجح (شهاب) وبقوة في دق أول مسمار في نعش (بشير الجميّل) وميليشياته المجرمة بعد أن أقنعه أن خطة (شارون) تقضي بأن يعلن للعالم ضرورة انسحاب سوريا وإسرائيل من لبنان ولأن إسرائيل ستنسحب حتمًا إن آجلًا أو عاجلًا فستضغط أمريكا على السوفيت ليضغطوا بدورهم على سوريًا كي تنسحب بالتوازي مع انسحاب إسرائيل كما أقنعه أيضًا أن إعلانه رفض توقيع اتفاقية سلام منفردة مع إسرائيل سيخلق له دعم عربي واسع ويتحول موقفهم الرافض له إلى موقف داعم ومؤيد مما يُحدث تحول في الموقف الأمريكي تجاه وبالفعل اقتنع (بشير) بذلك ونفذه حرفيًّا ما دامت تلك تعليمات أسياده من الصهاينة فأحدث ذلك زلزالًا بداخل حزب الكتائب وسنحت الفرصة لـ(إيلي حبيقة) للخروج من أزمته وتقمصه الأكيد لدور الزعيم المناضل الزعيم

الثوري بعد ما باع (بشير) القضية وارتمى في أحضان العرب من أجل منصب الرئاسة كما أن الإسرائيليون سيصدموا بالتأكيد ويصابوا بخيبة الأمل من (بشير) الذي ظهر بمظهر من استغلهم ثم تنصل لهم بعد ما أوصلوه لمنصب الرئاسة وبذلك يكون (بشير) قد أنتهي..أنتهى تمامًا وسقوطه مجرد وقت سيحدده بطلنا.. سيحدده (شهاب).

- مستحيل!!.. مستحيل!! (بشير الجميّل) لا يمكن أن يخون إسرائيل أبدًا.

نطق (إيريل شارون) بتلك العبارة بانفعال بالغ أمام رئيس الوزراء الإسرائيلي (مناحم بيجن) ورئيس (الموساد) (ديفيد كمحي) في اجتماعهم الطارئ عقب انتهاء المؤتمر الصحفي الذي عقده (بشير الجميّل) منذ قليل فنظر إليه (بيجن) من خلف زجاج نظارته الطبية السميك قائلًا بغضب:

- ألا زلت تدافع عنه يا (إيريل) بعدما أعلن للعالم أننا قوات احتلال تحتل أرضه؟ هذا الحقير بعد أن أوصلناه لمنصب الرئاسة يخوننا على مسمع ومشهد من الدنيا كلها.

أردف (شارون) بارتباك وحيرة بالغة:

- لابد من وجود تبرير لما فعله ربما مناورة و...قاطعه (ديفيد كمحي) بحدة:

- ولكنه قطع جميع الاتصالات معنا يا (إيريل) الأمر مفهوم أنه يتنكر لنا ويحاول الآن مغازلة العرب برفضه عقد اتفاقية سلام معنا.

اندفع (شارون) يقول بحدة:

- أبلغه عن طريق (راشيل) أن يأتي فورًا لـ(نهاريا) في غضون ساعة من الآن وسترى بنفسك أنه... قاطعه (كمحي) بقوة وقد عقد حاجبيه باستنكار بالغ:

- ماذا تقول يا (إيريل)!! سأكشفها إذًا ولن يتردد في قتلها لقد خاننا يا (إيريل) وخانك أنت شخصيًّا قبل أن يخون إسرائيل رغم أنك ساعدته أكثر من أي مسئول فينا.

هم (شارون) بالحديث لولا أن قاطعه (بيجن) قائلًا بصرامة:

- لقد انتهى الأمر يا (إيريل) لقد حكم (بشير) على نفسه بالإعدام لن أسمح أن نصبح أضحوكة في المنطقة.

ثم حدق بـ(كمحي) قائلًا بقسوة:

- أن تعلم ما يتوجبك عليك فعله يا (ديفيد) فلتنهي الأمر بأسرع ما يمكن.

اندفع (شارون) يقول:

- أليس من الأفضل يا سيدي الرئيس أن نقوم باختطافه والتحقيق معه لمعرفة حقيقة الأمر بشكل قاطع ولو ثبتت خيانته سأطلق عليه النار بنفسي.

حدق (بيجن) بـ(شارون) وازداد انعقاد حاجبيه وهو يصيح في وجهه بحدة:

- ألا زلت تكابر يا (إيريل)؟ لماذا لا ترى الحقيقة كما يراها الجميع؟ (بشير الجميّل) ليس (حيروم) ملك صيدا ولست أنت بنبي الله سليمان.

ثم أشاح عنه بوجهه وخاطب (ديفيد كمحي) قائلًا:

- ماذا ترى أنت يا (ديفيد)؟

نظر (ديفيد كمحي)لـ(شارون) ثم مط شفتيه وأردف قائلًا:

- ربما يجدر بنا الانتظار حتى تبعث (راشيل) بتقريرها وساعتها سنحدد هل سنكون في حاجة لتنفيذ مايطلبه الجنرال(إيريل شارون) أم أنه يتوجب علينا التخلص من (بشير الجميّل) فورًا.

6

الإعصـــار..

- لقد عينت السيد(ريمون أسعد) رئيسًا للجهاز الأمني للكتائب والمشرف العام على الحرس الخاص بي.

ثم نظر لـ(راشيل شـلومو) التي حضرت الاجتماع قائلًا لها بصرامة:

- تعليمات السيد (ريمون) تنفذ بكل دقة يا (فيولا).

قال (بشـير الجميّل) ذلك وهو يشـير لـ(شهاب) بعد أن أطلـق عليه ذلك الاسـم بناءًا على تعليمات (شـهاب) نفسـه وكخطـوة ثانيـة في خطة شـارون.. الخطـة الوهميـة.. بطبيعة الحال كما أقنعه (شـهاب) أخذ القادة السياسيين والعسكريين بحزب الكتاب ممن اجتمع بهم (بشـير) بمقر الحزب ببيروت الشرقية يتطلعون لـ(شـهاب) بمزيج من الدهشـة والغضب في نفـس الوقت فمن يكون (ريمون أسـعد) هذا حتى يضعه (بشـير) في منصـب حسـاس كهـذا في حـين قالت (راشـيل

شلومو) أو (فيولا بطرس) كما هي معرفة بالكتائب بهدوء وحماس زائف:

- بالتأكيد يا سيدي سأبذل قصارى جهدي من أجل ذلك.

ثم أخذت تنظر لـ(شهاب) بنظرات تحمل رسائل الغواية في أقوى صورها ومع جمالها الأخاذ وأنوثتها الطاغية لم تجد أى عناء في ارسال تلك الرسائل...الرسائل الشيطانية في واقع الأمر في حين بدا (شهاب) جامد الملامح لكنه استشعر أن وراء تلك المرأة أمرًا ما في حين صاح أحد قادة الميليشيا العسكرية لحزب الكتائب قائلًا بغضب:

- ولكن من يكون ريمون هذا يا(بشير) وكيف تمنحه كل تلك الثقة أنت لم تعرفه سوى منذ يوم واحد و....قاطعه (بشير) بعنف امتزج بغطرسة بالغة:

- أنت تخاطب رئيس لبنان يا (أدمون) فاحذر أن تناديه مرة أخرى باسمه مجردًا وقراراتي ليست للنقاش بل للتنفيذ ولقد جمعتكم اليوم لإبلاغكم بعزلي لـ(إيلي حبيقة) وتعييني للشخص الوحيد في العالم الذي أنقذني من موت محقق.

ثم صاح بغضب عارم:

- أين كنت وقتها يا (أدمون)؟ وقت أن كان الانفجار سيودي بحياتي.

استطرد (أدمون) قائلًا بتهكم:

- عذرًا يا سيادة الرئيس ولكنني تعودت أن أناديك باسمك هكذا مجردًا حين كنا في الخنادق نقاتل سويًّا كتفًا بكتف.

ثم ازدادت نبرة السخرية والتحدي في صوته وهو يستطرد:

- أما رئيس أمن الكتائب الجديد والمشرف على حرسك الخاص هل يستطيع مثلًا أن يحمي نفسه؟ وبشكل مباغت استل مسدسه بسرعة خاطفة وصبه باتجاه (شهاب) الذي يجلس على يسار (بشير) ولم يكد يفعل حتى استل (شهاب) مسدسًا من أسفل سترته وأطلق رصاصة واحدة أطاحت بمسدس (أدمون) بعيدًا بعد أن أصابته بمهارة مذهلة فانبرى أربعة قادة عسكرين في تكرار المحاولة ومن عدة أماكن متفرقة من حول طاولة الاجتماعات الضخمة والتي جلس

حولها مايقرب من خمسين شخصًا من قادة حزب الكتائب وبسرعة مذهلة بدت خرافية في واقع الأمر أطلق (شهاب) من مسدسه أربعة رصاصات أطاحت بمسدساتهم جميعًا دون أن يصاب أحد منهم بخدش فهرعت على الفور لداخل قاعة الاجتماعات خمسة عناصر من حرس (بشير) الخاص بعد أن سمعوا دوي الرصاص في القاعة وقد أشهروا بنادقهم وقام أثنين منهم بضرب (شهاب) بكعوب بنادقهم الآلية أو هكذا أرادو حين رأوه يحمل المسدس في يده لكن (شهاب) مال بجزعه بمرونة مذهلة فتفادى الضربة الأولى ثم وجهه لصاحبها ضربة كالزلزال من راحة يده استقرت فوق عنقه فخر فاقد الوعي رغم ضخامة بنيته وبحركة قتالية معقدة لايعرف أحد كيف استطاع (شهاب) ضرب ساعدي المهاجم الثاني بسرعة فائقة فأطاح ببندقيته التي طارت في الهواء وسقطت بعيدًا عنه أعقب ذلك بركله دائرية من ركلات التايكوندو استقرت برأسه فأفقدته وعيه على الفور ثم ركل بقوة الكرسي الذي كان يجلس فوقه فانزلق على الأرضية الملساء لقاعة الاجتماعات فصطدم أحد الثلاثة الذي هم باطلاق النار على (شهاب) فسقط أرضًا وركض شهاب باتجاه الاثنين

المتبقين ثم ثنى ركبيته وترك جسده ينزلق على الأرض فمر بينهم بسرعة فعجزوا عن اطلاق النار عليه حتى لا يصيبوا أنفسهم ولم يكن يريد (شهاب) سوى لحظة تردد واحدة فلقد كانت كافية تمامًا بالنسبة له حين دفع جسده بساعديه القويين فانتصب واقفا في حركة بهلوانية من حركات الجمباز ولم يكد المسلحين يستديرا لمواجهته حتى يطلقا عليه النار إلاَّ وقد فوجئوا ببنادقهم تطير في الهواء بعد أن أطاحت بهما ضربتين متتاليتين من راحتي (شهاب) الذي ركل أحدهم بسرعة البرق بين فخذية فصرخ من الألم قبل أن يفقد الوعي ثم تلقى لكمة الأخير على ساعده بسهوله قبل أن يطرحه أرضًا بعد ما حمله على ظهره بحركة خاطفة من حركات الجودو أعقبها بلكمة خلف أذنه أرسلته في رحلة إلى عالم الظلام الدامس فاقدًا الوعي لم يستغرق ذلك من شهاب سوى عشر ثواني !! عشر ثواني فقط استطاع فيها الإطاحة بخمسة رجال مسلحين وإفقادهم لوعيهم وخلال العشر ثواني تلك تسمر الجميع ممن كانوا بالقاعة وعلى رأسهم (بشير الجميّل) لايصدقون ما رأته أعينهم للتو وبدت الدهشة والذهول والانبهار تسيطر تمامًا على الجميع وبالأخص (راشيل شلومو) في حين تناول

(بشير) أحد زجاجات المياه المعدنية ورفعها نحو فمه وهو لا يزال يحدق بـ(شهاب) فصاح (شهاب) بقوة وهو يضرب زجاجة المياه من يد (بشير) قائلًا بصرامة:

- احذر يا سيادة الرئيس فلربما تكون المياه مسمومة.

- هل جُننت يا (إيلي)!! تضع السم لـ(بشير)!! اللعنة!! إننا لم نتفق على ذلك (بشير الجميّل) رفيق سلاح وإن اختلفنا معه في تحول موقفه من إسرائيل وتقاربه مع العرب بعد انتخابه رئيسًا فلا يعني ذلك أن نقتله.

صاح (ميشيل معوض) أحد قادة ميليشيا الكتاب بغضب بالغ بتلك الجملة في وجه (إيلي حبيقة) الذي جلس خلف طاولة اجتماعات صغيرة مع عدد من مؤيديه من قادة الجهاز الأمني وميليشيا الكتائب وذلك بعد المؤتمر الزلزال الذي عقده (بشير الجميّل) وأظهر فيه العداء الواضح لإسرائيل ومغازلته للدول العربية برفضه عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل بشكل منفرد كان (إيلي حبيقة) وخلال فترة رئاسته لجهاز أمن الكتائب يُقرب منه أكثر عناصر الحزب

تطرفًا ووحشية بجعلهم قادة ميدانيين بالميليشيا وجهازها الأمني بمدحهم لدى (بشير الجميّل) وكتابة التقارير الجيدة عنهم فدانوا له بالولاء التام فاستطاع تكوين ميليشيا خاصة به داخل الميليشيا الأم صاح (حبيقة) بغضب قائلًا:

- أنت أحمق يا (ميشيل) ألا ترى ما يحدث حولك؟ ألا ترى ما فعله (بشير) إنه اليوم يتنكر لمن ساعده حتى أوصله لمنصب الرئاسة وغدًا سيبيعنا جميعًا للعرب وربما يحاكمنا بنفسه كمجرمين حرب إرضاءًا لهم، إنني على يقين بالغ أن أول مرسوم سيصدره بعد توليه الرئاسة بشكل رسمي هو حل جيش الكتائب وحظر السلاح إلا مع الجيش اللبناني ليحظى باعتراف الدول العربية به كرئيس للبنان.

صاح (ميشيل) بغضب وكان يرافقه خمسة من أبرز قادة الميليشيا التي يترأسها:

- لا..لا يا (إيلي) أنت تصفي حساباتك الشخصية معه لقد عزلك بسبب فشلك في تأمينه والذي كاد يودي بحياته كما أودى بحياة ٢٦ قيادة سياسية بالحزب و....قاطعه رجال (إيلي حبيقة):

- أنت بالفعل أحمق يا (ميشيل).

وآخر:

- وماذا ننتظر من كلب (بشير) الوفي.

وآخر:

- فلتذهب معه إلى الجحيم لم يعد (بشير) قائد لنا بعد الآن لقد تم انتخاب (إيلي حبيقة) بالتزكية قائد لجيش الكتائب.

رد عليهم رفاق (ميشيل) الإهانات وتراشقوا فيما بينهم بالسباب والتخوين حتى قطع رنين الهاتف تلك التراشقات وضرب (حبيقة) سطح طاولة الاجتماعات براحته بقوة وصاح قائلًا:

- فليصمت الجميع.

ثم تناول سماعة الهاتف بلهفة ولم يكد يضعها على أذنه حتى احتقن وجهه وأطاح بالهاتف من فوق الطاولة بضربة قوية ألقت به بعيدًا وهو يقول بسخط:

- اللعنة!! هذا الشيطان أطاح بزجاجة المياه المسمومة من فوق شفتي (بشير) في اللحظات الأخيرة.

ران الصمت للحظات إلى أن استطرد (حبيقة) قائلًا بقوة:

- لن تنجو يا (بشير) في المرة القادمة أما هذا الشيطان الذي ظهر من تحت الأرض سأحرقه حيًّا و.... قاطعه (ميشيل معوض) بحدة:

- لن تكون هناك مرة أخرى يا (إيلي) سأبلغ (بشير) بكل ما يجري وبمحاولتك لقتله وس.... وبتر عبارته فجأة على أثر رصاصة استقرت بين حاجبيه أعقبها أن فتح رجال حبيقة النار من بنادقهم الآليه على رفاق (ميشيل) الخمسة فأردوهم جميعًا قتلى جحظت عينا (ميشيل) وتدفقت الدماء من ذلك الثقب الذي أحدثته الرصاصة التي أطلقها (إيلي حبيقة) من مسدسه ليخر صريعًا في حين أردف (حبيقة) ببرود:

- فلتخبر (بشير) بما تريد في الجحيم أيها الأحمق فسأرسله ليلحق بك بأسرع ما يمكن.

7

ميليشيا الذئاب..

دوت صرخات الألم المرعبة من ذلك الطفل المسكين الذي لم يتجاوز السادسة من عمره قبل أن ينتفض أنتفاضته الأخيرة مفارقًا الحياة بعد أن شق بطنه بأحد مشارط الجراحة ذلك الجزار متبلد المشاعر دميم الخلقة بوجهه القبيح وعينيه الضيقتين وكرشه البارز ورأسه الأصلع الكبير وقد ارتدي معطف الأطباء وأطباء العالم ليفضلون الموت حرقًا على أن ينتمي إليهم ذلك السفاح الذي أخرج كليتي ذلك المسكين والتي لا زالت تنبض ووضعها في صندوق مملوء بالثلج تم ذلك كله على أنغام الموسيقى الحالمة والصوت الساحر لـ(فيروز) وقد رفع ذلك السفاح صوت جهاز الكاسيت للدرجة القصوى وناول الصندق لأحد مسلحي ميليشيا الكتائب قائلًا له ببرود:

- كليتي ذلك الإرهابي الفلسطيني الصغير يجب أن تصل باريس على وجه السرعة وأمامك أقل من ست ساعات قبل

أن تتلف فلتتوجه لمرفأ بيروت في الحال وستجد شخص هناك سيتسلم منك جميع الصناديق.

ثم أشار إلى عشرات الصناديق الموضوعة بعناية على أرفف معدنية ورن جرس الهاتف الموضوع فوق أحد المناضد بجانبه فالتقطه ذلك السفاح وقال لمتحدثه ببرود:

– اسمع لقد زادت الأسعار بنسبة ٢٠٪ ولا وقت لدي للفصال.

ثم صمت لثواني يستمع فيها لمحدثه ثم أردف قائلًا بنفس البرود:

– نعم الطلبية بأكملها جاهزة ٢٠ كلية و١٥ كبدا و١٢ قلب وجميعها في حالة جيدة ومحفوظة في الثلج وستصل باريس في غضون خمس ساعات من الآن.

ثم أنهى الاتصال وهو ينظر خلفة في تبلد واضح للجثث أطفال مابين الخامسة والحادية عشر من العمر وقد عاث مشرط هذا السفاح فيهم فسادًا هذا انتزعت كليته وهذا قلبه وهذا كبده وتم ذلك حتى بدون تخدير أي أن البشاعة كانت مقصودة والتعذيب كان هدفًا وغاية وألقيت الجثث

فوق بعضها البعض وثلاثة مسلحون حولها يحملون منها ويضعون في أحد الشاحنات خارج ذلك المكان البشع الذي كان عبارة عن أحد المراكز السرية التابعة لحزب الكتائب والتي تجرى فيها عمليات سرقة أعضاء الفلسطينين ممن قام مسلحي ميليشيا الكتائب بخطفهم من المخيمات الفلسطينية عقب اقتحامها أخرج ذلك السفاح علبة سجائره من جيبه وتناول أحداها واشعلها بعد ما أزال تلك الكمامة من على وجهه وليته مافعل فلقد كانت تخفي قدرًا كبيرًا من دمامته وأخذ ينفث دخانها في الهواء وهو يشير لأحد المسلحين قائلًا ببرود:

- أدخلوهم الآن.

وخلال ثواني قليلة أدخل المسلحون مجموعة من الأسرى كانت الميليشيا قد اسرتهم بعد نفاذ ذخائرهم في القتال الذي كان مندلعًا قبل وقف إطلاق النار منذ عدة أشهر وكانت أعينهم معصوبة وتم تقييدهم من الخلف وكانت علامات التنكيل والتعذيب واضحة وبقوة على أجسادهم كان السفاح ينفث دخان سيجارته وينظر إليهم بتشفٍ واضح ثم أشار إلى المسلحين قائلًا:

- هيا فلنبدأ الحفل.

وعلى الفور تم إحضار عدة جواكيش والكثير من المسامير والعديد أيضًا من جذوع أشجار الأرز المنشرة في لبنان والتي أعدها المجرمون لتكون بارتفاع متر تقريبًا عن الأرض ثم بدأ الجنون حين قام هذا السفاح ببدء حفل الشيطان حين تم وضع كفي أحد الأسرى فوق أحد جذوع الأشجار وقام ذلك السادي بدق المسامير الغليظة بكفي المسكين الذي صاح من شدة الألم وقد أخترقت ثلاثة مسامير غليظة كل كف ونفذت حتى آخرها في جذع الشجرة وسط انتفاضات الألم وصيحات الرعب ثم بدأ بنزع أظافره الواحد تلو الاخر بوحشية منقطعة النظير واندفعت الدماء بغزارة من كف وأظافر الفلسطيني الأسير ومن حوله هؤلاء الذئاب تتعالى ضحكاتهم الشيطانية ثم أخذ هذا السادي ينفث دخان سيجارة أخرى أشعلها وهو يقول للمسلحين من حوله:

- فلتكملوا أنتم ولاتنسوا نزع الألسن وفقأ العيون.

ثم جرت المجزرة بدم بادرد وسط صرخات الألم والرعب وببطء متعمد فلقد كان تعذيبًا لمجرد التعذيب

فلم يستجوبوا الأسرى أو يحققوا معهم على سبيل المثال لم يريدوا منهم سوى أن يتألموا أنهى ذلك السفاح الحفل بسرقة أعضاؤهم وهم أحياء حتى لفظوا انفاسهم الأخيرة ثم صاح قائلًا يبدو أنه صاحب نفوذ قوي بميليشيا الذئاب تلك:

- هيا إزيلوا هذه الفوضى ويكفي اليوم لقد أرهقت كثيرًا.

ثم أشار لأحد المسلحين قائلًا بخبث:

- ألن أحظى ببعض المرح يا (جورج)؟

هتف المسلح وقد علت وجهه ابتسامة مقيته وهو يقول حالًا ياسيدي.

ولم تمر عدة لحظات حتى كان الجنود يدفعون أمامهم العديد من الفتيات والنساء وقاموا بركلهن فانطرحن أرضًا وانهالت السياط على أجسادهن ووسط الصراخ والعويل صاح (جورج) فيهم باجرام بالغ وهو يحمل بلطة حادة في يده ورفعها عاليًا:

- افعلن كل ما يريده منكم الطبيب ومن ستقاوم سأقوم بذبحها بنفسي ببلطتي هذه.

أخذ السادي السفاح ينظر إليهن وقد علت وجهه إبتسامة لزجة أضافت إلى وجهه القبيح قبحًا لم يكن في حاجة إليه..لم يكن أبدًا.

8

كشف الأقنعة..

- زجاجة المياه كانت مسمومة يا (بشير) وكانت رشفة بسيطة منها كفيلة بأن تودي بحياتك في أقل من ٣٠ ثانية فلقد كانت تحتوي على مادة شديدة السمية وبتركيزات عالية.

نطق السفاح سارق أعضاء البشر (جورج الجميُل) أبن عم (بشير الجميُل) وطبيبه الخاص بتلك العبارة فحدق به (بشير) وارتفعا حاجبيه دهشة قبل أن يردف قائلًا بغضب:

- هل أنت متأكد يا(جورج)؟

استطرد (جورج) قائلًا بثقة أمتزجت بالدهشة:

- قطعًا يافخامة الرئيس!! هل نسيت أنني طبيب؟.

ضرب (بشير) سطح المكتب الذي يجلس خلفه بقبضته بقوة وهو يصيح بغضب بالغ موجهًا حديثه لـ(شهاب) الذي جلس فوق أحد المقاعد وقد عقد ساعديه القويين أمام صدره:

- لابد أنه ذلك الخائن.. لابد أنه (إيلي حبيقة) لقد حكم ذلك الخائن على نفسه بالموت.

ثم رفع سماعة الهاتف بعد أن طلب رقمًا سريعًا وقال بحدة:

- أريده رأس (إيلي حبيقة) هنا أمامي في أقل من ٢٤ ساعة يا (داني) ولك مطلق الحرية في التصرف كيف تشاء.

ثم صمت للحظات يستمع فيها لمحدثه ثم صاح قائلًا بغضب:

- أيًا كان من حوله من الخونة فلتقم بتصفيتهم جميعًا.. لا أريد أحدًا منهم حيًا بعد الأن.

ثم وضع سماعة الهاتف ونظر لـ(شهاب) وأردف بإعجاب وامتنان بالغين:

- لقد أنقذت حياتي مرتين في أقل من ٤٨ ساعة لاأعرف كيف أكافؤك.

قال (شهاب) بهدوء:

- هذا واجبي وأمنك الشخصي على قائمة أولوياتي.

قالت (راشيل) بخبث وهي توجه حديثها لـ(شهاب):

– لقد بهرتنا اليوم بقدراتك القتالية الفريدة وبجرأتك النادرة ياسيد (ريمون) ولكن كيف علمت أن الماء مسموم؟.

أردف (شهاب) قائلًا بهدوء وثقة:

– الأمر بسيط ياعزيزتي ولكنه احتاج إلى الكثير من دقة الملاحظة فلقد نفذ شعاع شمسي من أحد النوافذ على يسار فخامة الرئيس ومر عبر عدة زجاجات موضعة على الطاولة باستثناء الزجاجة التي كانت أمامه وحين مد يده ورفعها ليشرب منها عرضها ذلك لمسار الشعاع الشمسي فمر من خلالها فلمحت بعض الاصفرار البسيط بالمياه بداخل الزجاجة وهو ما لم يكن موجودًا بباقي الزجاجات فشككت بالأمر وقررت التدخل.

لمح (جورج الجميّل) نظرة إعجاب واضحة أطلقتها الفاتنة (راشيل شلومو) باتجاه (شهاب) فأخذت نيران الغيرة تعربد بكل كيانه فلقد وقع في غرام (راشيل) حين رآها لأول مرة منذ ثلاث سنوات ومالبثت أن رافقته لبعض الوقت واستطاعت بمساعدته أن ترتقي داخل الحزب ثم هجرته

بعد ذلك حين لم تعد في حاجة إليه ورغم علمه التام بأن تلك الفاتنة اللعوب كانت تستغله إلا أن ذلك لم يغير من الأمر شيئًا بالنسبة لـ(جورج الجميّل) الذي لازال يعشقها وعلى مدار السنوات الثلاثة الماضية يحاول بكل الطرق أن يجعلها ترافقه مرة أخرى حتى أنه عرض عليه الزواج ذات مرة فقابلت عرضه بسخرية وتهكم بالغين أخذ (جورج) يحدق بـ(شهاب) بنظرات تنم عن عدم الارتياح مبعثها الغيرة في واقع الأمر وهو يردف قائلًا ببرود:

- إنها المرة الأولى في تاريخ الحزب منذ تأسيسه التي يتولي فيها شخص لا ينتمي للحزب منصب قيادي به.

نظر إليه (بشير) شزرًا وقال بحدة:

- إنها المرة الأولى أيضًا يا (جورج) التي ينقذ فيها شخص لا ينتمي للحزب (بشير الجميّل) مرتين في أقل من ٤٨ ساعة.

احتقن وجه (جورج) القبيح غضبًا مع كلمات (بشير) الأخيرة غير أنه لم يعلق بشيء في حين لا زالت (راشيل شلومو) أو (فيولا بطرس) تنظر لـ(شهاب) بمزيج بين

الدهشة والحيرة والاعجاب في آنٍ واحد إلا أن قطع عليها (بشير الجميّل) سيل المشاعر هذا حين قال بسخرية:

- يالوفاء النساء !! لماذا أجدك يا (فيولا) راضية تمامًا عن قتل (حبيقة) لقد كنت مديرة مكتبه حتى الـ٤٨ ساعة الماضية.

أردفت (راشيل) بولاء مصطنع وخبث حقيقي:

- ولائي الوحيد لك يافخامة الرئيس ولو أمرتني بقتله بنفسي فلن أتردد لحظة في نسف رأسه بمسدسي هذا.

ولم تكد تخرج مسدسًا صغيرًا من حقيبة يدها حتى قام (شهاب) وبسرعة البرق بانتزاعه قائلًا بسخرية:

- مهلًا ياعزيزتي تلك الأشياء الخطرة لا يجب العبث بها وخصوصًا في حضرة سيادة الرئيس.

احتقن وجهها الفاتن غضبًا وظلت تحدق بـ(شهاب) وإحدى حاجبيها الرفيعين ارتفع عاليًا دلالة على السخط ولكنها لم تنبس ببنت شفة.

في حين بدت علامات الانبهار والإعجاب تعلو وجه (بشير الجميّل) وعلى العكس تمامًا أخذ (جورج) يرمق (شهاب) بنظرات عدائية.. عدائية جدًّا.

وفي تلك الأثناء أنهمك شخصين في تثبيت عدة كاميرات مراقبة والعديد من أجهزة التصنت في عدة أماكن سرية بتجاويف ديكورات تلك الشقة الصغيرة أعلى مقر حزب الكتائب اللبنانية (بيت الكتائب) بضاحية الأشرفية ببيروت الشرقية وكان الشخصين على دراية كبيرة بما يقومان به حيث زرع أحدهم أحد أجهزة التصنت في سماعة الهاتف وقام الآخر بوضع جهاز تصنت في إطار الصورة الضخمة لمؤسس الحزب (بيار الجميُل) كانت الشقة عبارة عن مكتب رئيس جهاز أمن الكتائب الجديد (ريمون أسعد) أو بطلنا(شهاب) إن شئنا الدقة قال أحد الشخصين للآخر:

– اختبر كل شيء يا (حاييم) وتأكد من أنه يعمل بكفاءة فـ(راشيل شلومو) رغم جمالها الفاتن ووجها الملائكي هي في الواقع أنثى أسد مسعورة وستمزقنا أربا لو حدث أي خطأ.

قال (حاييم) بضجر:

– لا تقلق يا (إيزاك) لن تجد تلك المسعورة أي فرصة كي تنهشنا فلقد تأكدت من أن كل الأجهزة تعمل بشكل جيد.

أردف (إيزاك):

– يستحسن ذلك فـ(راشيل شلومو) أو (فيولا بطرس) كما يظنها هؤلاء العرب الحمقى من أشرس عملاء (الموساد) الذين تعاملت معهم وهي لاتتورع عن قتل طفل رضيع والتمثيل بجثته في سبيل أن تنجح بماتُكلف به من مهام أنها باختصار أداة جميلة للقتل.

ثم انهمكا في فحص وتجربة أجهزتهم للتصنت والمراقبة للمرة الأخيرة قبل أن يغادرا المكان ويعودا من حيث أتو عبر الحدود وهما لايعلمان أنهما وطيلة الوقت كانا تحت المراقبة وأن كل ماتحدثوا به قد تم رصده وبدقة.

جلس (شهاب) خلف مكتب رئيس جهاز أمن الكتائب وكان مكتب فخم عليه عدة هواتف وبعض الملفات وشارة الحزب متعانقة مع العلم البناني بشجرة الأرز الخضراء المميزة له والخطين الأحمرين وكانت توجد قبضة من البرونز أمام

العلمين المتعانقين استقرت فوق قاعدة مربعة صغيرة وعلى الحائط خلفه كانت توجد صورة ضخمة لمؤسس حزب الكتائب اللبنانية (بيار الجميّل) أخذ (شهاب) يحدث نفسه بنبرة ساخرة:

- أنا أجلس فوق كرسي سفاح صبرا وشاتيلا[1]!! (إيلي حبيقة)!! ولكن لابأس مادامت خطتي تسير بنجاح ثم علت وجهه ابتسامة عريضة وهو يغمغم أقصد:

- خطة الجنرال (شارون) بالطبع.

ثم قطعت عليه حبل أفكاره تلك الطرقات الهادئة والتي أعقبها دخول (راشيل شلومو) المكتب وكانت ترتدي فستانا قصيرًا مكشوفًا أحمر اللون وصففت شعرها الأشقر الناعم بعناية واضحة ومع ماتتمتع به من جمال صارخ وأنوثة طاغية كانت (راشيل شلوم) باختصار جحيمًا من الغواية ولم يكن ينقصها أبدًا ذلك العطر الأنثوي المُثير الذي فاح منها وعبق

(١) في ١٦ سبتمبر ١٩٨٢ قامت ميليشيا الكتائب بقيادة (إيلي حبيقة) باقتحام مخيمي صبرا وشاتيلا وقتلت ما يقرب من ٣٥٠٠ فلسطيني بمساعدة الجيش الإسرائيلي الذي كان يحاصر المخيمين والذي كان يشعل القنابل المضيئة في السماء ليتمكن مقاتلي الكتائب من الرؤية طوال الليل وذلك انتقامًا لمقتل (بشير الجميّل).

المكان فور دخولها فـ(راشيل شلومو) كانت تعلم جيدًا ماتقوم به ووضعت فوق شفيها ابتسامة خلابة وهي تقول لـ(شهاب) بنعومة ورقة تذيب الجليد:

- هل يسمح لي رئيسي الجديد أن أطلعه على بعض الأمور العاجلة والتي تتطلب أن يتخذ فيها قرارًا؟

وعلى عكس كل رجال العالم في مثل هذا الموقف العصيب لم تتحرك في (شهاب) ذرة من الضعف البشري ليس لأن (راشيل شلومو) فشلت فيما تقوم به فالحق أنها جعلت من نفسها آتون من الإثارة فلقد تفوق (الموساد) دومًا وبإمتياز في استخدام سلاح المرأة لقهر إرادة أعتى الرجال ممن أراد السيطرة عليهم وإخضاعهم ولكن (شهاب) لم يكن رجلًا عاديًا ولامثيل له بين رجال هذا العصر لسبب بسيط أنه لاينتمي لأي عصر أنه هائم على وجهه في صحراء الزمن يطارد الشر أينما وجده لقهره وهزيمته لا كي يرتمي في أحضانه هاجمت الدهشة والاستغراب (راشيل) وهي ترى تلك الابتسامة الساخرة التي تراقصت على وجه (شهاب) وهي التي تعودت دومًا أن ترى نظرات الضعف والرغبة الهزيمة

من جميع الرجال الذين مروا بها في حياتها أمام جبروت جمالها وأنوثتها أشار إليها بالجلوس وفتح أحد أدراج مكتبه وكانت المفاجأة حين أخرج منه العديد من كاميرات المراقبة وأجهزة التصنت وألقى بها أمامها قائلًا بسخرية واضحة:

– يبدو أن أحدهم كان في عجلةٍ من أمره ونسي تلك الأشياء.

أثمر التدريب الشاق الذي تلقته (راشيل شلومو) بداخل (الموساد) على إخفاء المشاعر الانسانية عند موقف معين وإظهار غيره أو نقيضه فلقد نجحت (راشيل) في إخفاء وقع تلك المفاجأة ورسمت على وجهها ملامح مصطنعة للغضب والحنق حين قالت:

– هؤلاء الخونة من رجال (إيلي حبيقة) لابد أن نتخلص منهم يا سيدي.

ثم تركت مقعدها بعد أن أخذت تلك الأجهزة وهي تقول متصنعة الاهتمام البالغ:

– سأعد كشفًا بأسماء كل المشتبه فيهم وسيكون أمامك في غضون نصف ساعة من الآن ياسيدي.

ثم همت بمغادرة المكتب ولم تكد تفتح الباب حتى أردف (شهاب) قائلًا:

- حسنًا يا (راشيل).

تسمرت (راشيل شلومو) في مكانها والتفتت لـ(شهاب) وعجزت تلك المرة أن تخفي مابداخلها فطفى بقوة على وجهها وارتفعا حاجبيها الرفيعين واتسعت عيناها الزرقاء دهشة فلقد كان وقع المفاجأة كبير..كبير جدًا في واقع الأمر نظر إليها (شهاب) واستطرد بسخرية:

- أقصد يا (فيولا)..سأنتظر تقريرك.

برغم كل شئ كانت (راشيل شلومو) في النهاية أحد أهم عملاء (الموساد) فلم يستغرق تأثير الصدمة عليها سوى ثواني معدودة فاستلت مسدسًا صغيرًا من حقيبة يدها وصوبته باتجاه (شهاب) وأردفت بسخرية:

- حسنًا أيها الشيطان الوسيم أعترف بأنك تبهرني في كل مرة ولكن سيتوقف مسلسل الانبهار هذا برصاصة بين حاجبيك إن لم تعترف لي بكل شيء.

٩

صراع عبر الزمن..

- لقد كلفني (بشير) بقتلك يا(إيلي).

ارتفعت ضحكات (إيلي حبيقة) بعد تلك الكلمات التي نطق بها (داني بشارة) قائد الوحدات الخاصة بميليشيا (الكتائب) وأردف قائلًا:

- ولماذا لم تفعل يا(داني)؟

أردف (داني) قائلًا بتوتر:

- إننا رفاق سلاح يا(إيلي) و(بشير) تغير كثيرًا بعد ظهور هذا المدعو (ريمون اسعد) أنه لم يعد يثق بأحدٍ غيره!! نحن رفاقه الذين حاربنا بجانبه من خندق لآخر لم يعد يثق بنا ويضع شخص غريب في منصب كرئاسة الجهاز الأمني للكتائب وهو شخص غامض مجهول لايعرفه أحد.

أردف (إيلي) بخبث:

- إذًا أنت معنا يا (داني) لاصلاح ما أفسده (بشير)؟

أردف (داني):

- ماذا تنوي أن تفعل يا(إيلي)؟

نظر إليه (إيلي) وأمسك بذراعه بقوة وأردف بحماس:

- لن أسمح له بحل الكتائب والزج بنا في السجون أو ربما قتلنا إرضاءًا للعرب سنتخلص منه ونواصل الحرب حتى نطرد كل محتل لأرضنا لن نتوقف حتى ننهي النفوذ الفلسطيني والسوري والعربي في لبنان وحين يجد الإسرائيليون أن (بشير) قد اختفى من المشهد لن يجدوا أمامهم إلا أنا كي يتحالفوا معه أما (ريمون أسعد) هذا فأمره هين والتخلص منه سهل و....قاطعه (داني):

- ولكنهم يقولون عنه أنه شيطان يا(داني) لقد أنقذ بشير مرتين و...قاطعه (إيلي) بخبث:

- الشيطان مكانه الوحيد الجحيم يا(داني) وسأترك لك مهمة إعادته إليه ولقد استطعت تحديد موقع تواجد (بشير) وسيتكفل السوريون بالباقي.

بدا الاندهاش واضحًا على وجه (داني بشارة) وهو يقول باستغراب:

– السوريون !! هل تفكر يا(إيلي) في...قاطعه بضحكة عالية قائلًا:

– سأجعل السوريون يتخلصون منه بقصف مقره بمدفعيتهم الثقيلة وعقب ذلك ستجتاح قواتنا بيروت الشرقية وتستولي على بيت الكتائب بالأشرفية في دعوى تأمين مناطقنا من الغزو السوري وساعتها سنكون بعيدين كل البعد عن مقتل (بشير) وسأتولى حينها القيادتين السياسية والعسكرية للحزب وسيصبح (بشير الجميّل) شيئًا من الماضي.

هم (داني بشارة) بالحديث لولا أن استوقفه (إيلي حبيقة) باشارة من يده وقد علت وجهه إبتسامة مقيتة وهو يشير لجهاز اللاسلكي في يده قائلًا:

– السوريون..السوريون يا (داني).

وتحدث باللاسلكي قائلًا:

– حسنًا يا (مينا) فلتدخلهم بدون حراسة وبسلاحهم الشخصي فقط.

وما هي إلا لحظات حتى دخل مقر (حبيقة) السري والمحاط بحراسة شديدة من الميليشيا التابعة له عدد من ضباط

الجيش السوري والمخابرات العسكرية لبدء المفاوضات والتنسيق مع (إيلي حبيقة) للتخلص من (بشير الجميّل).

- ران الصمت لبرهة من الوقت بدا فيها (شهاب) جامد الملامح رابط الجأش و(راشيل شلومو) تصوب نحو مسدسًا محشوًا بالرصاص وبدت متحفزة بشكل واضح وقد علت ملامح وجهها الفاتن علامات الصلف والغطرسة وفجأة تراقصت على وجه (شهاب) إبتسامة ساخرة وهو ينظر إليها بلامبالاة قائلًا بتهكم:

- يا لك من حمقاء.

ظهر الغضب على ملامح (راشيل) وهمت بالحديث غير أن (شهاب) وبسرعة البرق التقط القبضة الحديدية من أمامه وقذف بها باتجاه (راشيل) فأطاحت بمسدسها بعيدًا بعد أن أصابته بدقة عجيبة شهقت (راشيل) بفعل المفاجأة ولم تكد تستوعب الموقف حتى وجدت (شهاب) يقفز بسرعة مذهلة من فوق مكتبة ليستقر أمامها مباشرة ويوجه لها صفعة قوية زلزلت كيانها وألقت بها فوق أحد المقاعد وأردف قائلًا بصرامة:

- أنا من أُحدد ذلك يا عميلة (الموساد).

كان (شهاب) قد استبق (راشيل شلومو) ورجالها وزرع عدة كاميرات مراقبة بمكتبة والتي لم يجد صعوبة في الحصول عليها بعد ما أصبح رئيسًا للجهاز الأمني للكتائب فرصدت تلك الكاميرات وسجلت الحديث الذي دار بين (إيزاك) و(حاييم) عنها وعن قسوتها ودمويتها من أجل تحقيق أهدافها إحتقن وجه (راشيل) غضبًا وهي تضع يدها فوق خدها ناصع البياض والذي تركت أصابع (شهاب) به أثرًا واضحًا فقالت بغضب وهي تحاول أن تبدو مسيطرة على الوقف:

- حسنًا أيها الوغد نعم أنا أعمل لصالح (الموساد) الذي يعلم بوجودك هنا والذي يستحيل أن تفلت من قبضته وأنصحك بأن...قاطعة (شهاب) بسخرية لاذعة:

- فلتدخري نصائحك لنفسك أيتها البلهاء ولتبلغي رؤسائك أن (بشير الجميّل) أصبح كالخاتم في أصبعي وأنني على استعداد لعقد صفقة معكم ولكن بشروطي.

قالت بحدة:

- ولكن لحساب من تعمل و....قاطعها ثانيةً:

- إنني أعمل لصالح نفسي وأستطيع أن أجعل (بشير الجميّل) أن يوقع معكم اتفاقية سلام بعد ساعة من الآن واستطيع أيضا أن أجعله يعقد مؤتمرًا آخر ولكن تلك المرة سيعلن فيه للعالم طلبه للأمم المتحدة كرئيس للبنان أن تنسحب قوات الاحتلال الإسرائيلي من بلاده ليس ذلك وحسب بل وأن يعقد اتفاقية دفاع مشترك مع سوريا وأن تبقى القوات السورية بقواعد دائمة لها في لبنان.

ارتفعا حاجبا (راشيل شلومو) بدهشة واتسعت عيناها الزرقاء الجميلة بشكل ملحوظ وهي تردد بدهشة بالغة:

- قواعد سورية في لبنان!! أنك تهذي يستحيل أن يقوم (بشير) بذلك لن تسمح له الكتائب بذلك أن ماتقوله محض هراء.

أردف (شهاب) بتحدي واثقة واضحين:

- فلتجربي ذلك إذًا؟

بدا الارتباك واضحًا على وجهها وهي تقول؟

- ولكن ماذا تريد من وراء ذلك كله؟

أردف (شهاب) بصرامة:

- ليس هذا شأنك فقط أبلغي رؤسائك ما قلته لك.

ظهرت ابتسامة خبيثة على وجهها وهي تقول:

- وماذا لو ذهبت من فوري لـ(بشير) وأخبرته بالأمر؟.

أطلق (شهاب) ضحكة عالية وأردف قائلًا:

- حسنًا ولكن فلتعطيه ذلك الدليل تأكيدًا لكلامك.

ثم رجع ليجلس خلف مكتبه وسط دهشة (راشيل شلومو) وهي تراقبه يخرج أحد شرائط الفيديو التي كانت تستخدم في فترة الثمانينات من القرن العشرين ويضعها بأحد أجهزة الفيديو ويقوم بتشغيله لتظهر (راشيل شلوم) وهي تقول:

- حسنًا أيها الوغد نعم أنا أعمل لصالح (الموساد).

وكان (شهاب) يسجل بأحد كاميرات المراقبة كل مادار بينه وبين (راشيل) التي شحب وجهها حين رأت اعترافها الذي لا يقبل الشك بأنها تعمل لصالح (الموساد) وارتسمت على وجه (شهاب) ابتسامة ساخرة وهو يقول:

– والآن يا (راشيل) لا تهدري الوقت ولا تدعيني أنتظر طويلًا فالسوريون لن يترددوا لحظة في عقد تلك الصفقة معي وقبول كل شروطي.

بدا الارتباك والتوتر واضحين تمامًا على وجه (راشيل شلومو) وهي تحاول التماسك وتردف قائلة:

– وما الدليل على صحة ماتقول بشأن سوريا و...قاطعها بثقة بالغة:

– سيعلن (بشير الجميّل) غدًا وفي مؤتمر صحفي عالمي تشكيلة الحكومة اللبنانية الجديدة والتي سأكون فيها رئيسًا للاستخبارات اللبنانية أيكفي ذلك الدليل؟

بدت الدهشة والصدمة في آنٍ واحد تسيطر تمامًا على (راشيل شلومو) أنها صهيونية حتى النخاع أبهذه البساطة وبعد عدة سنوات من العمل الشاق للسيطرة على (بشير الجميّل) والكتائب يأتي هذا الشيطان ليطيح بذلك كله؟

نقلت وكالات الأنباء العالمية المؤتمر الصحفي الذي يعقده الرئيس اللبناني المنتخب (بشير الجميّل) ببيروت

الشرقية وأعلن فيه تشكيلة الحكومة اللبنانية الجديدة بعد وقف اطلاق النار الذي أمر (بشير) به قواته من ميليشيات الكتائب والميليشيات المسيحية المتحالفة معها(القوات اللبنانية) وترأس إجتماعًا تحضيريًا لتلك الحكومة التي ضمت بينها (شهاب) كرئيسًا للاستخبارات العامة اللبنانية بدرجة وزير ومن تل أبيب وبمكتب رئيس (الموساد) (ديفيد كمحي) صاحت (راشيل شلومو) بانفعال بالغ:

- لقد فعلها!!..لقد فعلها ذلك الشيطان!!. أنه ذلك الوغد الوسيم الذي يجلس على يسار (بشير الجميّل) أنه وكما قال أصبح رئيسًا للاستخبارات اللبنانية أنه بالفعل وكما قال يسيطر على (بشير) سيطرة كاملة.

ضاقت حدقتا (ديفيد كمحي) وهو يحدق في صورة (شهاب) عبر التلفاز وأردف قائلًا بتوتر:

- لا يبدو مألوفًا لي أنني أحفظ جميع عملاء المخابرات المعادية عن ظهر قلب ولكن هذا الرجل لم أره قبل اليوم.

قال (إيريل شارون) بانفعال بالغ:

- ألم أقل لك يا(ديفيد)؟ (بشير الجميّل) يكره العرب أكثر منا نحن الإسرائيليين ولابد أن هناك لغزًا في التحول الأخير في موقفه تجاهنا ومفتاح حل هذا اللغز مع شخص واحد شخص ترونه الآن يجلس على يساره ويهمس في أذنه أمام العالم بأسره.

ثم صاح بقوة:

- لابد من عملية استخباراتية سريعة (ياديفيد) لاختطاف ذلك الرجل لمعرفة من يكون ولحساب من يعمل قبل أن ينفذ تهديده ويعقد صفقة ما مع السوريين وساعتها سنكون أمام الأمر الواقع.

(ديفيد كمحي): حسنًا يا(إيريل) قواتك تحاصر بيروت وستأمن لنا الدعم اللوجيستي بإحدى مروحياتك العسكرية وسيقوم فريق يضم نخبة من عملاء (الموساد) في عمليات الخطف والإغتيالات بتنفيذ خطة مُحكمة كان قسم العمليات قد وضعها لاختطاف (بشير الجميّل) ولكن إختطاف ذلك الشيطان أصبح أولوية قصوى وسنتمكن حتمًا من أقتناصه.

ثم نظر لـ(راشيل شلومو) وقال بصرامة:

– سيقع عليك العبء الأكبر يا(راشيل) فهدفك الآن أصبح رئيسًا للاستخبارات اللبنانية.

أردفت بحماس بالغ:

– سأقتنصه هذا الوغد ياسيدي أيًا كانت الظروف.

أردف (شارون) بقوة وصرامة:

– ليست تلك هي المهمة الوحيدة يا(ديفيد) فيجب التخلص فورًا من هذا الأحمق المدعو (إيلي حبيقة) فلقد رصدت المخابرات العسكرية اتصاله بالسوريين وحتما أنه ينسق معهم للإطاحة بـ(بشير الجميّل).

قال (ديفيد كمحي) وهو ينظر لـ(راشيل شلومو):

– لقد أصبح (إيلي حبيقة) ورقة لعب محروقة يا (راشيل) فلتتخلصي منه.

لمعت عينا (راشيل شلومو) الزرقاء ببريق غريب وهي تقول بشراسة:

– فليذهب إذن إلى الجحيم ياسيدي.

انتشر عشرات المسلحين حول مخبئ (إيلي حبيقة) السري لحراسته كما أن العديد منهم أختفى خلف أكياس الرمال التي تم وضعها فوق بعضها البعض لتكون حواجز ضد الرصاص أنتشرت حول المخبأ من جميع الجهات ونصبوا خلفها رشاشاتهم الثقيلة كما كان يوجد خمس دبابات أنتشرت هي الأخرى حول المخبأ للتصدي لأي هجوم أخذ (إيلي حبيقة) بزيه العسكري يتفقد تلك القوات وهو يسير وسط حرسه الشخصي وكان يرافقه (داني بشارة) الذي انضم إليه وانشق عن (بشير الجميّل) حين طلب منه قتل حبيقة وجَّه (داني بشارة) حديثه لـ(حبيقة) قائلًا:

- هل تثق بـ(فيولا بطرس) إلى هذه الدرجة يا(إيلي) حتى تطلعها على مكان مخبأك السري ماذا يؤكد لك أنها ستأتي؟ ولا نفاجئ بقوات (بشير) تهاجمنا الآن؟

ضحك (إيلي حبيقة) وأردف بغرور:

- لو أحبتك امرأة يا (داني) يستحيل أن تخونك مهما كانت الظروف و(فيولا بطرس) تحبني وبقوة.

ثم علت ضحكاته مرة أخرى وهو يشير إلى أحد الاتجاهات إلى سيارة من نوع مرسيدس سوداء تنزل منها فاتنة شقراء وقد وضعت على وجهها نظارة شمسية سوداء وأردف قائلًا بثقة:

- ها هي فيولا يا(داني) ألم أقل لك؟

ثم استطرد قائلًا بصرامة:

- والآن يا(داني) تخلص من هذا الـ(ريمون اسعد) في الحال فوجوده بجانب (بشير) مع مايعرفه من معلومات عنا خطر بالغ للغاية.

أردف (داني) بقوة:

- حسنًا يا(إيلي) سأعطي التعليمات لرجالي على الفور.

ثم استطرد بابتسامة خبيثة:

- وسأتركك مع (فيولا) فالربما تريد أن تتحدث معها على انفراد.

ربت (حبيقة) على كتفه بقوة وارتفعت ضحكاته وهو يقول:

- فلتذهب للجحيم أيها الوغد.

ولم يمضي كثيرًا من الوقت حتى جلس (حبيقة) داخل مخبئه وأخذ ينفث دخان سيجاره الكوبي الفاخر في الهواء بعد أن خلع زيه العسكري لميليشيا الكتائب وعلت وجهه علامات النشوى وهو ينظر لـ(راشيل شلومو) أو(فيولا بطرس) كما يعرفها بقميص النوم المُثير الذي ترتديه كانت (راشيل) قد سيطرت على (حبيقة) تمامًا بما يبرع فيه الموساد من استخدامه لسلاح المرأة وأخذت تلعب بعقله قائلة:

– سيرسل لك (بشير الجميّل) إبن عمه الدميم (جورج الجميّل) وأيًا كان العرض الذي سيعرضه عليك فلاتدع (جورج) يذهب من هنا حتى تتأكد من صدق مايقول.

أردف (حبيقة) باندهاش:

– ولكن (بشير) أرسل (داني بشارة) ليقتلني و...قاطعته بثقة:

– (بشير) تأكد من أنه لن يستطيع التخلص منك بسهولة كما أنه لايريد أي مشاكل وهو على وشك تسلم رئاسة الجمهورية بشكل رسمي فأراد ربما يشتري ولاءك.

حدق (حبيقة) في وجهها الفاتن بولع شديد وهو يقول بتأثر:

- أتحبيني لهذا الحد يا (فيولا)؟ وتخاطرين بكشف أمرك ولا تخشين انتقام (بشير) كل هذا من أجلي؟.

أردفت (راشيل شلومو) بدلال بالغ:

- أنت الرجل الوحيد الذي أحببته يا (إيلي).

10

غرام الأفاعي..

- تحت أشعة الشمس الدافئة على أحد الشواطئ اللبنانية المطلة على البحر المتوسط والتي تخضع لسيطرة ميليشيا الكتائب أخذت الفاتنة الشقراء (راشيل شلومو) تسبح بمهارة في مياه البحر الصافيه وكان الدميم (جورج الجميّل) وخلفه أثنين من حرسه الخاص يقف على رمال الشاطئ يتأمل (راشيل) بولع شديد وقد بدا مشدوهًا لدرجة تقترب من التنويم المغناطيسي وهو يتابعها تسبح برشاقة وفور خروجها بزي السباحة الساخن الذي ترديه استلقت على أحد المقاعد فاندفع (جورج) نحوها بعد ما أشار لحرسه بألا يتبعاه وأخذ يلهث تقريبًا وهو يتحدث إليها قائلًا بانفعال واضح:

- لقد أصبحت الآن وزيرًا يا(راشيل) وقد جنيت ثروة طائلة من بيع الأعضاء البشرية دعينا نتزوج وسأعمل على إسعادك و...قاطعته ضحكة (راشيل) التي زلزلت كيانه الدميم وهي تردف قائلة:

- الزواج مرة أخرى يا (جورج) ألا تمل من هذا الموضوع؟

كان هذا الدميم جاثيًا على ركبتيه فوق الرمال وهو يقول بتضرع وتذلل بالغين:

- وافقي... وافقي يا (راشيل) وأقسم لك أنك لن تندمي سأكتب كل ثروتي باسمك و...قاطعته قائلة بخبث بالغ:

- ألا تخشى من (إيلي حبيقة) يا (جورج)؟

ثم أطلقت ضحكة فاضت منها كل غواية الأرض وهي تستطرد بخبث بالغ:

- سيقتلك يا (جورج) لو سمع ذلك، إنه غيور جدًّا.

كان جميع من في الكتائب يعلم جيدًا علاقة (حبيقة) بـ(راشيل) وأنهم رفيقين فاندفع (جورج) يقول بسخط بالغ:

- أقتله إذًا بيدي.. (إيلي حبيقة) انتهى أمره يا (راشيل) المسألة مسألة وقت قبل أن يقوم أحدهم بقطع رأسه وإهدائها لـ(بشير).

أردفت (راشيل) بخبث:

- الأمر ليس بهذه السهولة يا (جورج) لا تنكر أن لديه رجاله في الكتائب ممن يدينون له بالولاء.

صاح (جورج) بقوة:

- هراء..قلت لك لقد انتهى (إيلي حبيقة).

وضعت أناملها الرقيقة فوق وجهه القبيح وهي تقول بدلال مثير:

- ولكنني أخشي أن يقتلني أنتقامًا لهجري له وتفضيلك عليه.

كاد (جورج) أن يفقد وعيه بعد مالمست أنامل معشوقته وجهه فانبري يقول بانفعال بالغ:

- وماذا لو أتيتك برأسه هل ستتزوجيني؟

تصنعت (راشيل) التأمل وهي تقول:

- زوجة وزير الصحة اللبناني أمر مشجع للغاية.

قال(جورج) بانفعال بالغ وهو يلهث من شدة الفرح:

- حسنًا..حسنًا ياراشيل سأقلب كل حجر في لبنان لأصل لمخبئه وفي أقل من ٢٤ ساعة سأكون قد تخلصت من (حبيقة).

رسمت فوق وجهها الفاتن إبتسامة مصطنعة وهي تقول:

- لدي خطة محكمة فأنا أعلم أين يختبئ ولكن لابد من مفاجأته حتى لايستطيع الهروب.

ثم أخذت تشرح له خطتها بالتفصيل قبل أن تردف قائلة بدلال مصطنع:

- كل الأمور واضحة أمامك الآن يا(جورج) هيا تحرك بسرعة فلقد بدأت فكرة زوجة الوزير تستهويني.

كانت (راشيل) تريد أن تتخلص من (جورج الجميّل) الذي يطاردها أينما ذهبت وسيزداد ذلك بالتأكيد بعد أن أصبح له نفوذ كوزير للصحة مما يعرض عملها الاستخباراتي للخطر ويضعها تحت المنظار طيلة الوقت من رجاله وفي نفس الوقت تريد التخلص من (إيلي حبيقة) بتعليمات من رئيس (الموساد) شخصيًا فأعدت تلك الأفعى خطة شيطانية للتخلص منهم بضربة..ضربة واحدة.

نظر إليها (جورج) بافتتان بالغ وهو يقول:

- سأقتله..سأقتله يا (راشيل).

ثم نهض من فوق الرمال يجُر كرشه الضخم وانطلق كالمجنون يتبعه حرسه في حين أخذت (راشيل) تحدث نفسها بازدراء:

- لقد لوثت الأجواء بأنفاسك الكريهة أيها الدميم لقد كانت أسوأ أيام حياتي عندما تلقيت التعليمات بالتقرب إليك ومرافقتك للترقي بداخل الحزب أشعر برغبة جارفة في التقيؤ كلما تذكرت تلك الأيام البغيضة.

ثم أخذت تغمغم بشرود:

- ولكن كل شيء يهون من أجل الوطن.. من أجل إسرائيل.

11

بداية النهاية..

أخذ (بشير الجميّل) يستعرض وحدات رمزية من جيش الكتائب بالاستاد الرياضي بـ(بيروت) الشرقية فمرت أمام المنصة الرئيسية التي يجلس بها وبجانبه مباشرة كان (شهاب) بالإضافة إلى حشد من قادة الكتائب العسكريين عشر دبابات ثقيلة وعشرون عربة مجنزرة والعديد من عربات الجيب العسكرية تجر ورائها مدافع تقيلة وأخرى مضادة للطائرات والعديد من حاملات الجنود ومئات الجنود الذين انتظموا في صفوف يحملون بنادق الكلاشنكوف الروسية ويمشون المشية العسكرية وكان الجميع يؤدي التحية العسكرية عند مرورهم بالمنصة لقائد ميليشيات الكتائب (بشير الجميّل) الذي توقف عن ارتداء الزي العسكري بعد انتخابه رئيسًا للجمهورية اللبنانية وظهر بحلة أنيقة ووضع على عينيه نظارة شمسية سوداء ووقف يرد عليهم التحية العسكرية وفور أنتهاء العرض استقل (بشير) و(شهاب) معًا سيارة

واحدة تبعتهم سيارات الحراسة ومن داخل السيارة حدق (بشير) في (شهاب) بذهول وهو يقول باستغراب بالغ:

– ماذا!! آمر قواتي بمهاجمة الجيش الإسرائيلي الذي يحاصر بيروت الغربية معقل أعدائي !! كيف هذا يا (موشي)؟

أردف(شهاب) بهدوء وثقة:

– سيُظهِرك ذلك أمام العرب بمظهر البطل القومي الذي يحارب عدوهم التاريخي (إسرائيل) ليحرر أرضه كما أن الأهم هو أن الجيش الإسرائيلي الذي يقوده الجنرال (شارون) لن يرد على هذا الهجوم بل سيعلن أن خطأ ما تسبب في وقوع اشتباكات محدودة ولكن الصحف العربية ستعلن أن قوات (بشير الجميّل) تهاجم الجيش الإسرائيلي وتكبده خسائر فادحة ومع الصور التي سنسربها لتلك الصحف ستصبح في عيون العرب بطل قومي بكل تأكيد وسيتأكد من تخلوا عنك أن لك قوة عسكرية تستطيع أن تؤلم إسرائيل لو أرادت كما أن لك دعم عربي يساندك وسيطالب أمريكا بتأيدك وساعتها تكون نجحت خطة الجنرال.

تراجعت الدهشة وتقدم الارتباك على وجه (بشير الجميل) وهو يقول:

- ولكن ماذا لو قصف الطيران الإسرائيلي قواتي و...

قاطعه (شهاب) بثقة:

- لن يحدث ذلك يا(بشير) الجيش الإسرائيلي جيش نظامي وليس ميليشيا ولن يتحرك جندي واحد مادام الجنرال (شارون) لم يعطي الأوامر بذلك.

أردف (بشير) بقلق واضح:

- وماذا عن الرأي العام في إسرائيل وأمريكا الذي سيهاجمني وقتها بكل قوة؟

ظهرت ابتسامة مصطنعة على وجه (شهاب) وهو يقول:

- أنا روسي الأصل يا(بشير) تمامًا مثل الجنرال (شارون) وهناك مثل روسي يقول:

- في هذا العالم أن تكون مذنب خيرًا من أن تكون عاجز.

ثم استطرد (شهاب) بثقة:

- ربما يهاجمونك لبعض الوقت ولكن وبكل تأكيد سيتعاملون معك بعدها كشريك وليس كتابع ضعيف.

ساد الصمت لبرهة من الزمن والسيارة تخترق شوارع بيروت الشرقية وآثار الدمار واضحة في كل ركن فيها قبل أن يردف (بشير) قائلًا:

- حسنًا مادمت تلك خطة الجنرال (شارون) فأنا أثق به ثقة عمياء.

تسلل ثلاث أشخاص ضخام البنية إلى داخل إحدى الشقق السكنية أعلى مقر حزب الكتائب بعد أن فتح أحدهم بمديته نافذة الشرفة الخلفية والمطلة على شارع جانبي تحت سمع وبصر عناصر الحراسة التي تحمي المقر مما يؤكد أن مؤامرة ما تحدث الآن وكان كل منهم يحمل مسدس كاتم للصوت وتتدلى بلطة حادة من حزام جلدي حول خصره وهمس أحدهم في أذن الآخر قائلًا:

- غرفة المكتب مُضاءة يا (فيكتور) إنه بالمكتب.

تقدم الثلاثة بهدوء وحذر نحو غرفة المكتب واندفعوا بداخلها وانطلقت عدة رصاصات مكتومة اخترقت جسد ذلك الشخص الذي كان يجلس خلف المكتب فقال أحدهم بجشع:

- رائع يا رفاق سنحصل بالتأكيد على مكافأة سخية من (داني بشارة).

جاؤهم صوت ساخر من خلفهم يقف أما باب المكتب المفتوح قائلًا:

- أخشى أنكم لن تحصلوا سوى على الألم أيها الأوغاد.

التفتوا جميعًا ورائهم بحدة لمصدر الصوت وأطلقوا الرصاص غير أن (شهاب) كان أسرع منهم جميعًا وبشكل مذهل وبتوافق عضلي وعصبي فريد قفز لأعلى وضرب بكلتا قدميه مسدسين من الثلاثة المصوبين نحوه فأطاح بهم بعيد في نفس الوقت الذي أطاح براحة يده اليمني بالمسدس الثالث حدث كل ذلك في أقل من ثلاث ثواني أصاب فيهم الذهول المهاجمين الثلاثة غير أن (شهاب) لم يترك لهم الفرصه لذلك وبسرعة البرق هوى على عنق أحدهم بقبضته الحديدية

فترنح وركله بركبته بين فخذيه فاسقطه أرضًا يتلوى من الألم في الوقت الذي هوى فيه أحد المهاجمين على رأس (شهاب) ببلطته الحادة فأمسك (شهاب) بساعده وحمله على ظهره ثم طرحه أرضًا بإحدى حركات المصارعة الرومانية وانتزع البلطة منه وقذف بها بقوة فاطاحت بالمسدس الذي كان قد التقطه الثالث من فوق الأرض وأوشك أن يطلق النار على (شهاب) وفجأة اندفعت خمسة مسلحين من الحرس الخاص برئيس الجهاز الأمني للكتائب أي من حرس (شهاب) الخاص إلى داخل المكتب وصاح قائدهم وهو يصوب بندقيته الآلية للمهاجمين الثلاثة:

- هل أنت بخير ياسيد (ريمون)؟.

أجاب (شهاب) بسخرية وهو يشير للمهاجمين الثلاثة:

- يبدو أن هؤلاء الأوغاد كانوا يعانون من الملل فأرادوا ربما قتل الوقت معي.

نظر قائد الحرس إلى (شهاب) بإعجاب بالغ وهو يقول:

- تهزم ثلاثة مسلحين بمفردك ياسيد (ريمون) لقد أصبحت حديث الكتائب كلها.

ثم نظر شزرًا للمهاجمين الثلاثة وصرخ في وجههم:

- فيكتور، رينيه، جورج كنتم تحاولون اغتيال رئيس الجهاز الأمني للكتائب ورئيس المخابرات اللبناني القادم السيد (ريمون أسعد) تأكدوا أن نهايتكم هي الموت.

ثم اتصل عبر اللاسلكي قائلًا باحترام بالغ:

- عفوًا يا فخامة الرئيس ولكن ثلاثة من رجال (داني بشارة) كانوا يحاولون قتل السيد (ريمون أسعد) و.... صمت الرجل لبرهة ثم عاد يقول بقوة:

- لا..لا يا فخامة الرئيس السيد (ريمون) بخير و... صمت ثانية ثم أعطى جهاز الاسلكي لـ(شهاب) قائلًا:

- فخامة الرئيس (بشير الجميّل) يود الاطمئنان عليك بنفسه.

أخذ (شهاب) جهاز اللاسلكي وطمأن (بشير) ثم اقتاد الحرس رجال (داني بشارة) وتم اعتقال المتآمرين معهم من عناصر حراسة مبنى الحزب وتم رصهم في صف واحد أمام

أحد الحوائط في الشارع الذي خلى من المارة حيث تجاوز الوقت الثالثة والنصف بعد منتصف الليل فتحوا النار من بنادق الكلاشنكوف التي يحملونها فأردوهم جميعًا قتلى في الوقت الذي جلس (شهاب) فيه خلف مكتبه بعد أن رفع الماكيت الذي ألبسه ملابسه كنوع من التمويه بعد ما أحس بمن يحاول اقتحام شقته عبر النافذة ثم أخذ يغمغم بشرود:

- يا ترى ماذا لديك أنتِ الأخرى يا أفعى (الموساد)؟

- إنهم يريدون مقابلتك على وجه السرعة.

نطقت الفاتنة (راشيل شلومو) بتلك العبارة من داخل مكتب (شهاب) أو رئيس الاستخبارات اللبناني المقبل فقال (شهاب) ببرود:

- من هم بالتحديد؟

وضعت (راشيل) سيجارة رفيعة في فمها وضغط بأسنانها بشكل غير ملحوظ على كعب السيجارة الموضوع بداخله جهاز الإرسال فانطلقت إشارة التقطها جهاز الرادار الخاص بإحدى مروحيات الجيش الإسرائيلي التي تنقل

عناصر (الموساد) المكلفة بعملية اختطاف(شهاب) وهاهي تنجح في تحديد موقعه ثم قالت (راشيل) وهي تنفث دخان سيجارتها في الهواء:

- رئيس الموساد شخصيًّا (ديفيد كمحي).

ولم تمر عدة ثواني حتى ارتفع هدير المروحية الإسرائيلية فاستشعر (شهاب) الخطر وبشكل تلقائي هب واستند للحائط وأعقب ذلك اقتحام عناصر (الموساد) المكتب من خلال النوافذ التي تطاير زجاجها بفعل اندفاع عناصر الموساد المتدلين بالحبال من المروحية التي أخذت تطلق النار على عناصر ميليشيا الكتائب الذين تجمعوا بعد سماعهم صوت هديرها المرتفع وأشهر خمس أشخاص ملثمين بنادقهم الأوتوماتيكية نحو (شهاب) وصاح به أحدهم انبطح أرضًا وإلا أطلقت الرصاص عليك في حين أخرجت (راشيل شلومو) مسدسًا صغيرًا من ثيابها واندفعت نحو (شهاب) وهي تصيح:

- هيا أيها الوغد لا داعي للمقاومة فلا توجد لديك أي فرصة.

– سنُخلصك من (بشير الجميّل) وستأخذ أنت مكانه في قيادة ميليشيا الكتائب وسنمدك بالسلاح اللازم لتهزم معارضيك ولكن بشروط يا (إيلي حبيقة).

نطق العقيد (مصطفى حمود) مدير الاستخبارات العسكرية للقوات السورية في لبنان بتلك الجملة بصرامة وهو يحدق في (إيلي حبيقة) الذي ضاقت حدقتا عينه وأردف بخبث قائلًا:

– هات ماعندك ياسيادة العقيد.

أردف (حمود) بجدية بالغة:

– أن تستكمل القتال الذي أوقفه (بشير) لتصفية الوجود الفلسطيني بشكل تام ولاأقصد هنا الوجود المسلح فقط بل أن جميع اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات يجب أن يتركوا لبنان نهائيًّا وأن يبقي الجنوب اللبناني تحت السيطرة الشيعية.

أردف (حبيقة) قائلًا:

– أن ذلك يستدعى القيام بمجازر للفلسطينيين في المخيمات لإجبارهم على النزوح بشكل جماعي من لبنان.

بادر (حمود) يقول بلامبالاة واضحة:

– أنهم أوباش ولوكان باستطاعتنا أن نقوم بتلك المجازر بأنفسنا لفعلنا ولكن محيطنا العربي سيقف لنا بالمرصاد وتتذكر يوم تركنا ميليشياتكم تقوم بمجازر مخيمات الكرنتينا وتل الزعتر كيف هاجمتنا معظم الأنظمة العربية.

عاد الخبث يعلو وجه (حبيقة) وهو يقول:

– هل تكرهون الفلسطينيين لهذه الدرجة مع أنهم مسلمون مثلكم وما هي مصلحتكم في أن يسيطر الشيعة على طول الحدود بين لبنان وإسرائيل؟

بدا التبرم على وجه (مصطفى حمود) ومرافقيه وهو يقول بحدة:

– ليس ذلك من شأنك يا(إيلي) و...قاطعه (حبيقة) بحدة مماثلة:

– فلتكرهوا الفلسطينيين أو تعشقوهم هذا بالفعل شأنكم ولكن ماذا عن السماح للشيعة بالسيطرة على الجنوب لابد أن أفهم ذلك.

قال (حمود) بعصبية:

– الشيعة امتداد لنا في لبنان فنظام الحكم العلوي في سوريا هو أحد طوائف الشيعة وسيطرت الشيعة على الجنوب يعني سيطرة سوريا على حدود إسرائيل الشمالية أما منظمة التحرير الفلسطينية والميليشيات السُنية المسلحة المتحالفة معها فإنها تقاتل إسرائيل بضراوة وتكبدها خسائر فادحة رغم التفوق الإسرائيلي العسكري الكاسح وهو ماترفضه القيادة السورية.

علت الدهشة ملامح (حبيقة) وهو يقول:

– المفروض أن هزيمة إسرائيل تسعدكم ياسيادة العقيد لا أن تزعج الرئيس (حافظ الأسد).

ظهر الضيق على وجه (حمود) وهو يقول بعصبية:

– لماذا لم تسأل نفسك يا (إيلي) لماذا دعمناكم بالدبابات والمدفعية والمستشاريين العسكريين؟ لماذا سمحنا لكم باقتحام مخيم (تل الزعتر) وقتل آلاف الفلسطينيين؟ ولماذا أطالبك الآن باجتياح المخيمات الفلسطينية لطرد الفلسطينيين بشكل نهائي من لبنان؟ أننا نكره العرب أكثر منكم يا (إيلي).

بدا الاندهاش والتعجب بوضوح على وجه (حبيقة) و(داني بشارة) الذي حضر معه ذلك الاجتماع ولم ينطق بكلمة فقال (حبيقة) وهو يخرج من جيبه سترته العسكرية أحد الخرائط لبيروت الشرقية ويضع دائرة بالقلم الرصاص عند نقطة معينة بالخريطة وهو ويقول:

- (بشير الجميّل) موجود الآن في هذا الموقع لقد أبلغني رجالي بذلك منذ قليل فلتتخلصوا من (بشير) أولًا وساعتها أبدأ في تنفيذ الجزء الخاص بي من الاتفاق.

ولم يمض كثير من الوقت قبل أن يغادر (مصطفي حمود) ورفاقه حتى أرتفع أزيز جهاز اللاسلكي فالتقطه (حبيقة) ووضعه فوق أذنه وتحدث قائلًا:

- ماذا عندك يا(أنطوان)؟

استمع (حبيقة) لمحدثه ولم يلبث أن علت وجهه أبتسامة صفراء وهو يقول:

- (جورج الجميّل) هنا وبمفرده !! دعه يدخل يا أنطوان وللتتأكد من أنه لايحمل سلاح.

نظر إليه (داني بشارة) وهو يقول باندهاش بالغ:

– ماذا يريد هذا الدميم ياترى وكيف علم بمكان المخبئ؟ ولماذا أراك تبتسم هكذا وكأنك في انتظاره ولم تتفاجأ و...قاطعه (حبيقة) بخبث:

– لا تقلق يا (داني) أنني أسيطر على الأمور بشكل تام.

كانت الأفعى الحسناء (راشيل شلومو) قد أقنعت الدميم (جورج الجميل) أن يذهب لـ(إيلي حبيقة) ويقنعه أن (بشير الجميّل) هو من أرسله لعقد الصلح بينهم وعرض منصب وزير الداخلية عليه ثم يعطيه خاتم (بشير) تأكيدا لما يقول وكانت (راشيل) قد أعطت (جورج) نسخة مطابقة تمامًا لخاتم (بشير الجميّل) والذي يعرفه (حبيقة) جيدًا لطول فترة ملازمته لـ(بشير) ورؤيته المستمرة للخاتم بأصبعه وأقنعت الأحمق (جورج) أن جهاز الارسال بالخاتم المزيف لن يعمل إلا بعد ساعتين من ارتداء (حبيبقة) له يكون قد اكتسب فيها الحرارة اللازمة لتنشيطه حيث أنه يعمل بالطاقة الحرارية وساعتها سيتم ارسال قوات للتخلص من (حبيقة) بعد ماتم تحيد مكانه غير أن (راشيل) كانت تخطط لأن يتم قصف موقع إرسال الإشارة التي ستنطلق عقب خلع (جورج)

الخاتم من إصبعه مباشرةً نتيجة الاحتكاك الذي سيحدث بين الخاتم وإصبعه وذلك بإحدى الطائرات الحربية الإسرائيلية لتتخلص منهم بضربة واحدة وفور ما رأى (حبيقة) وجه (جورج) الدميم حتى قال بسخرية بالغة بعد أن اختبئ (داني بشارة) حتى لا يكشف ولائه لـ(حبيقة):

- لم أكن أعلم أنك بهذه الجرأة يادكتور، أم تفضل أن أناديك بفخامة الوزير؟ ولكن أخبرني أولًا كيف علمت بمكاني؟

ارتسمت فوق وجه (جورج) القبيح ابتسامة بشعة وهو يقول:

- إن (بشير) بعثني إليك عارضًا الصلح مع منصب وزير الداخلية اللبناني بالرغم من أنه يعلم بوجودك هنا ويستطيع إرسال قواته للتخلص منك بسهولة.

ثم خلع الخاتم وناوله لـ(حبيقة) قائلًا بثقة:

- كما أنه أرسل معي خاتمه هدية لك تأكيدًا لكلامي.

بدت الدهشة تعلو وجه (حبيقة) وهو يلتقط الخاتم وينظر إليه بشك واضح ثم أردف قائلًا:

- (بشير) لا يفكر بتلك الطريقة فلو أنه يعلم بمكاني لأتى لقتلي على الفور أنا أعلم جيدًا كيف يفكر (بشير الجميّل).

ثم نظر للخاتم ووضعه حول أحد أصابعه وهو يقول بتهكم:

- وعمومًا لقد قبلت هديته والآن يا فخامة الوزير فلتخبرني بالحقيقة كاملة.

شعر (جورج) بالارتباك ولاحظ (حبيقة) ذلك فانعقدا حاجبيه بقوة وظهرت الشراسة على ملامحه وهو يصيح بقوة في وجه (جورج):

- تكلم أيها القبيح قبل أن أستأصل أعضائك بنفسي كما تفعل أنت مع الأسرى عضوًا عضوًا.

حاول (جورج) التماسك وهو يقول بهدوء:

- لقد أخبرتك رسالة (بشير) يا (إيلي) ولك مطلق الحرية في قبولها أو رفضها والآن بماذا سأرجع لـ(بشير) بالقبول أم الرفض؟

ارتفعت ضحكات (حبيقة) من داخل مخبأه المحصن وهو يقول بخبث:

- بل سننتظر كلانا (بشير) ليأتي بنفسه هذا إن كان ما تقوله حقيقي وليست خدعة.

شحب وجه (جورج) وهو يقول بذعر:

- ولكنني يجب أن أذهب فورًا فـ... قاطعه (حبيقة) بصفعة قوية على وجهه وصاح بقوة في وجهه:

- ما الأمر أيها القبيح؟ تكلم قبل أن أطلق عليك النار.

أشار (جورج) بعدما انهار تمامًا إلى الخاتم في يد (حبيقة) قائلًا بذعر:

- إنه الخاتم.. الخاتم يا (إيلي) به جهاز إرسال و... بتر عبارته فجأة فلم يعطه (حبيقة) الوقت ليكمل حين استل خنجرًا حادًا وطعنه في عنقه ليخرج نصل الخنجر من الجهة الأخرى وتندفع الدماء من عنق (جورج الجميّل) بمظهر بشع وتجحظ عيناه بشكل مرعب ويقول بصوت متحشرج وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- إنها تلك الأفعي يا (إيلي) إنها (فيولا بطرس) من أرادت التخلص منك وهي من رسمت تلك الخطة وأعطتني

جهاز الإرسال لتحديد موقعك فلتهنأ معها أيها الوغد فلتهنأ مع من أرادت قتلك.

كان (جورج الجميّل) دنيئًا بمعنى الكلمة فحتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يوشي بفتاته فإن كان لا يستطع الفوز بها فلتمت إذن ولتذهب إلى الجحيم، انعقدا حاجبا (إيلي) وضاقت حدقتا عينه بعد تلك الكلمات التي لفظ صاحبها أنفاسه الخيرة وسقط جثة هامدة أمام قدميه وأخذ يغمغم بدهشة قائلًا:

- ماذا!! فيولًا تخونني!!

وفجأة دوى انفجار هائل بالمخبئ بعد أن استهدفته طائرة حربية إسرائيلية بإحدى صواريخها.

12

وجهًا لوجه..

كان الموقف عصيبًا بالفعل خمس بنادق أوتوماتيكية مصوبة نحو (شهاب) ومن عدة أماكن متفرقة وها هي (راشيل شلومو) تلصق مسدسها الصغير بجبهته غير أن (شهاب) بدا رابط الجأش بشكل واضح وأخذ عقله يعمل بشكل محموم ليجد حلًا للخروج من هذا الموقف الصعب وفجأة حدث ما لم يكن في حساب الإسرائيليين مطلقًا أو حتى في حساب (شهاب) حيث أخذت المدفعية السورية الثقيلة تقصف منطقة الاشرفية بما فيها بيت الكتائب قاصدين قتل (بشير الجميّل) فأصابت قذيفة بيت الكتائب حيث مكتب (شهاب) فارتج المكان بعنف وأطاح الانفجار بعدة حوائط من المكتب بعد ان سقط أحد أعمدته فانتهز (شهاب) الفرصة وتحرك بسرعة البرق وانقض على أقرب الملثمين الخمسة وانتزع بندقيته الأوتوماتيكية وركله بقدمه اليمنى ركلة قوية أطاحت به عدة أمتار قبل أن يسقط على الأرض

ثم فتح النار على الباقين فأرداهم جميعًا قتلى ولاحظ بطرف عينه (راشيل) وهي تصوب المسدس نحوه لتطلق النار عليه فنحني بسرعة مذهلة فأخطأته رصاصتها واندفع باتجاهها وصفعها على وجهها بقوة ثم لكمها أسفل أذنيها فسقطت على إثرها فاقدة للوعي ووسط الغبار الكثيف والأتربة التي خلفها القصف قفز (شهاب) خلف مكتبه وأخرج من أحد أدراجه ورقة خطا بها عدة كلمات وتركها فوق سطح المكتب وبسرعة البرق أنتزع ملابس أحد قتلى(الموساد) وأرتداها بسرعة ولم ينسي وضع غطاء الوجه كانت المروحية قد فرت هربًا من القصف بعد فشل عملية الاختطاف فحمل (شهاب) (راشيل شلومو) فوق كتفه وانطلق يهبط درجات السلم المتهاوى الذي مزقه القصف حتى وصل للشارع الذي امتلأ بجثث عناصر ميليشيا الكتائب كانت المروحية لازالت تحوم وفور رؤية شهاب ألقت له بحبل فالتقطه بإحدى يديه وتم سحبه بسرعه وارتفعت الطائرة مغادرة الموقع ظنا منها أن أحد أفراد الفريق استطاع النجاة وها هو يحمل فوق كتفه ربما زميلًا له أو هدفهم المنشود (شهاب).

أين (ريمون أسعد)؟ فلتبحثوا عنه حتى ولو في الجحيم.

أخذ (بشير الجميّل) يصرخ بتلك الجمله في وجه جميع من كانوا حوله من قادة الكتائب والأجهزة الأمنية كان (بشير) قد غادر الأشرفيه قبل بداية القصف بعدة دقائق وعندما تم إبلاغه بأن بيت الكتائب قد أصابه القصف انتابته حالة من الهيستيريا لعلمه بوجود (شهاب) أو (موشي حاييم) كما يعتقد بمكتبه بـ(بيت الكتائب):

اقترب منه أحد معاونيه الأمنيين قائلًا بتوتر:

- إننا نبحث في الجثث ياسيادة الرئيس أنـ...قاطعه (بشير) بغضب عارم:

- ماذا!! جثث!! لا يجب أن يموت (ريمون اسعد) لو حدث ذلك ستصبح كارثة.

في حين قال أحد القادة العسكريين للكتائب بحدة:

- السوريون هم من قاموا بذلك ياسيادة الرئيس فـ(بيروت) الشرقية تقع بأكملها في مدى مدفعيتهم الثقيلة ماذا يجب أن نفعل ياسيادة الرئيس؟

اقترب منه آخر يقول:

- مبعوث الجامعة العربية وأمين عام الأمم المتحدة و....

قاطعة (بشير) بغضب:

اللعنة!! لاأريد أن اتحدث مع أحد الآن.

في حين قال آخر:

- هل نعلن حالة التعبئة في صفوف قواتنا ياسيدي؟

لم يرد (بشير) وأخذ يمرر أصابعه فوق جبهته في توتر بالغ فأخذ الرجل يردد السؤال عدة مرات فصاح في وجهه بعصبية بالغة:

- سحقًا..لن أفعل شيء قبل أن يظهر (ريمون أسعد).

وفي تلك الأثناء كان (شهاب) قد أتخذ مقعده خلق عصا القيادة للمروحية بالطبع بعد أن أفقد الطيار الإسرائيلي وعيه من خلال لكمة خلف أذنه في الوقت الذي كان فيه الإسرائيلي الآخر والذي كان يجلس أمام باب المروحية المفتوح خلف رشاش ثقيل مثبت بها سيء الحظ للغاية حيث ألقى به (شهاب) خارج المروحية ليسقط من ارتفاع مئات الأمتار بالطبع جثة هامدة في حين استردت (راشيل شلومو)

وعيها وقد قيدها (شهاب) باحكام في المقعد المجاور له فقالت بسخط:

- ماذا تنوي أن تفعل أيها الشيطان؟

قال (شهاب) بسخرية وهو يقود المروحية بمهارة فائقة:

- الشياطين لاينقذون البشر من موت محقق كما فعلت معك للتو أيتها الجاحدة.

قالت بحدة:

- لن تستطيع الهرب إنك... قاطعها بأن ألقى إليها أحد أجهزة اللاسلكي قائلًا بصرامة:

- أطلبي من رؤسائك السماح لنا بالهبوط في (نهاريا).

نظرت إليه بدهشة بالغة:

- يا لك من مغرور هل تريد الذهاب بقدمك إلى إسرائيل.

قال (شهاب) ببرود:

- توقفي عن الثرثرة وافعلي ما أمرتك به قبل أن أقذف بك خارج الطائرة.

ولم تمضي سوى عدة دقائق حتى هبط (شهاب) بالمروحية بمهارة واضحة حتى أن قائد المطار العسكري بـ(نهاريا) قال لـ(ديفيد كمحي) الذي أخذ يراقب الطائرة وهي تهبط:

- هبوط رائع لابد أنه طيار محترف.

لم يعلق (كمحي) وكان ينتظر صيده الثمين بفارغ الصبر وفجأة اندفع عشرات الجنود يطوقون المروحية حين نزل (شهاب) وبرفقة (راشيل) والطيار الحقيقي وفور رؤيته اندفعت (راشيل) باتجاه (كمحي) الذي صاح في وجهها ماذا جرى؟ أين باقي الفريق و....قاطعته بعصبية:

- لقد أطلق عليهم ذلك الشيطان النار فقتلهم جميعًا وألقى بأحدهم من المروحية وأفقد الطيار وعيه وأختطف المروحية و...قاطعها بأن صاح في وجهها بسخط بالغ وقد احتقن وجهه من شدة الغضب:

- كفي.. كفى.. أقسم بحائط المبكى أنني سأقتله بيدي بعد أن نعرف منه ما نريد.

13

على أرض العدو..

جلس (شهاب) أمام ثلاثة محققين من (الموساد) بإحدى الغرف المغلقة يجيب على أسئلتهم بتهكم بالغ وسخرية لاذعة على مدار نصف ساعة ويبدو أن أحدهم قد ضاق به ذرعًا فصاح في وجهه:

– يبدو أنك تفضل الطريقة الصعبة أيها الوغد حسنًا كما تريد.

ثم أشار لأحد الجنود ففتح باب الغرفة فانطلق صوت نباح مرعب أعقبه دخول أحد الجنود وأمامه كلبًا بشع المظهر يندفع إلى داخل الغرفة ويجر الجندي خلفه جرًا حيث كان ذلك المتوحش ضخمًا للغاية وبارتفاع متر تقريبًا عن الأرض من نوعية الدوبرمان الألمانية الشرسة ومن كلاب الميدان بالجيش الإسرائيلي المدربة على القتل تراجع المحققين في الوقت الذي هجم فيه هذا الوحش على (شهاب) وانتظر الجميع صراخات الألم والتوسل التي سيطلقها (شهاب)

حتمًا بظنهم غير أن المحققين الثلاثة تدلت فكوكهم السفلي في آنٍ واحد بعد أن اتسعت أعينهم حتى آخرها من شدة الذهول حين شاهدوا (شهاب) يتحرك بسرعة مذهلة وقام بضرب عنق هذا الوحش بكلتا راحتيه في آنٍ واحد فسمع الجميع صوت تحطم عظام مكتوم وجحظت عينا الوحش وأخذ نباحه في التحشرج حتى خبا تمامًا قبل أن يسقط صريعًا على الأرض أمام قدم (شهاب) وخلف حائط زجاجي ضخم للغرفة أنتابت نفس مشاعر الذهول والدهشة (إيريل شارون) و(ديفيد كمحي) و(راشيل شلومو) وعدد آخر من خبراء (الموساد) قبل أن يهتف (شهاب) بقوة وهو ينظر في ساعة يده:

- أنتم يامن تشاهدونني بالتأكيد من وراء حائط زجاجي غبي ستُهاجم ميليشيا الكتائب قواتكم بعد دقيقتين من الآن وستتكبدون أيها الإسرائيليون خسائر فادحة وإن لم أرجع لـ(بيروت) في خلال ساعات سيعلن (بشير الجميّل) غدًا في مؤتمر صحفي عالمي مفاجأة مدوية لكم كما ذكرت لعميلتكم الحمقاء من قبل.

احتقن وجه (راشيل الفاتن) وهي تغمغم بغضب:

- لكم أتمنى أن أقتلك بيدي أيها الوغد.

أخذ (شهاب) يتضرع إلى الله من أعماقه بأن تصل رسالته التي كتبها لـ(بشير الجميّل) وأن ينفذ ما فيها وإلا سيكون موقفه صعب..صعب للغاية.

جمع (بشير الجميّل) قادة ميليشيا الكتائب وأمام خريطة ضخمة عُلقت على أحد حوائط غرفة الإجتماعات أخذ (بشير) ينظر إليها بشرود ويغمغم بحيرة بالغة محدثًا نفسه وهو ينفث دخان سيجارته بتوتر:

- لقد أكد لي (موشي) عندما رأيته لأول مرة أنه وتحت أي ظروف يجب أن تسير مراحل الخطة في توقيتاتها المحددة بمنتهى الدقة وفي سرية تامة وإلا ستفشل خطة (شارون) ولقد فتشوا كل شبر بمنطقة القصف ولم يجدوا أي أثر لجثة (موشى) إذن فأين ذهب؟

وقطع عليه شروده طرقات على قاعة الاجتماع أعقبها دخول أحد عناصر الميليشيا وهو يقول بجدية:

– سيادة الرئيس لقد وجدوا تلك الرسالة على مكتب السيد (ريمون اسعد) وهم يفحصون مكتبه وفق تعليمات سيادتكم.

التقط (بشير) الرسالة على الفور وكانت مكتوبة بالعبرية وتقول «رصدت المخابرات السورية وجودي – حاولوا قتلي– فررت بمروحية إسرائيلية – سأجتمع مع الجنرال شارون – سأعود باكر – قم بالهجوم على الجيش الإسرائيلي في التوقيت المحدد بكل دقة – التفاصيل عندما أعود» تهللت أسارير (بشير الجميّل) وبدا ذلك واضحًا على وجهه وبدأ في إعطاء التعليمات لقادة الكتائب وتحديد المواقع المطلوب ضربها.

– سيدي الجنرال تعرضت قواتنا لهجوم مباغت من ميليشيا الكتائب والخسائر كبيرة في المعدات والأرواح.

صاح (إيريل شارون) بسخط بالغ في وجه أحد ضباط مخابراته العسكرية:

– ماذا تقول بحق الجحيم !! قوات (بشير الجميّل) تهاجم قواتي كيف هذا بحق الشيطان؟

صاح (ديفيد كمحي) بذهول:

– هذا الوغد كان على حق.

أردفت (راشيل شلومو) بذعر:

– هذا يعني أن ذلك الوغد إن لم يعود إلى بيروت سيقوم(بشيرالجميّل) غدًا بعقد مؤتمر صحف...قاطعها (شارون) ببركان من الغضب وهو يصيح.

– احضر هذا الوغد إلى هنا حالًا يا(ديفيد).

ولم يمضي كثير من الوقت حتى صاح (شارون) في وجه (شهاب) قائلًا بحدة بالغة:

– من أنت بحق الجحيم؟

قال (شهاب) بسخرية:

– ألم تشاهد التلفاز؟ أنا رئيس جهاز الاستخبارات اللبناني.

أردف (ديفيد كمحي) قائلًا:

– هراء كلانا يعلم أن ذلك غير حقيقي.

قال (شهاب) بثقة وهدوء:

- حسنًا دعني أحدثك بما هو حقيقي الحقيقي أنكم تكبدتم خسائر فادحة في معداتكم وجنودكم منذ قليل والحقيقي أيضا أنه بعد ساعات قليلة إن لم أعود لـ(بشير الجميّل) سيعلن للعالم أنكم محتلون لأرضه وسيتوجه للأمم المتحدة يطالب بخروجكم من لبنان ويتحول لبطل قومي ويرتمي في أحضان العرب وستخسرون أمن حدودكم الشمالية للأبد.

نظر الإسرائيليون لبعضهم البعض بخوف حقيقي وتوتر بالغ فقال (كمحي) بهدوء:

- وهو كذلك ماذا يريد (بشير الجميّل) من وراء ذلك كله؟

أردف (شهاب) بسخرية:

- تقصد ماذا أُريد أنا؟ أما (بشير الجميّل) فلتنسا أمره تمامًا؟

قالت (راشيل شلومو):

– هذا صحيح ياسيدي أنه يسيطر عليه تمامًا منذ أن أنقذه مرتين في أقل من ٤٨ ساعة.

ابتسم (شهاب) بسخرية وهو يقول لها:

– أحسنت يا(راشيل) ماتقولينه صحيح تمامًا.

أردف (شارون) بحدة:

– حسنًا وماذا تريد؟

نطق (شهاب) بثقة وهدوء:

– ١٠ مليارات دولار والجنسية الأمريكية.

ارتفعا حاجبا (شارون) دهشة واتسعت عينا (كمحي) في حين قالت (راشيل) باستنكار بالغ:

– ماذا !! عشرة مليارات دولار !!

أردف (شهاب):

– لن أحصل منها على دولار واحد إلا بعد إتمام الصفقة.

هتف (شارون) بحدة:

– وما المقابل الذي سنحصل عليه؟

(شهاب):

- اتفاقية سلام مع لبنان تضمنون بها أمن حدودكم الشمالية للأبد.

بدت ملامح (شارون) تلين فجأة وهو يقول:

- وكيف نضمن أن يتحقق ذلك؟

أردف (شهاب) بثقة:

- أستطيع أن أضمن لكم أن يوقع معكم (بشير الجميّل) اتفاقية سلام فورًا.

أردف (كمحي) وماذا لو خرجت ميليشياته عن سيطرته وهاجمتنا مجددًا؟

وكان ذلك السؤال هو ماينتظره (شهاب) منذ أن قدم لهذا العصر بل هو ما خطط له منذ البداية فأردف يقول بيقين بالغ:

- لا زال (بشير الجميّل) يسيطر على القوة الضاربة بـ(ميليشيا الكتائب) بالرغم من أنني وخلال الأيام القليلة الماضية من عملي كرئيس للجهاز الأمني تأكدت أن (إيلي حبيقة) له بعض المؤيدين و...قاطعه (ديفيد كمحي) بثقة:

- لا تقلق بشأن (حبيقة).

ثم نظر لـ(راشيل) باعجاب وهو يقول:

- كانت خطتك عبقرية يا (راشيل) لقد أكدت مصادرنا من (بيروت) مقتل (جورج الجميّل) ونسف مخبئ (حبيقة) وقتل كل من فيه والمعلومات تؤكد ان (حبيقة) كان موجود ساعة القصف في مخبئه مع قادة الميليشيا المنشقين على (بشير الجميّل).

بدت (راشيل) مزهوة بنفسها في حين أردف (شهاب) بحماس مصطنع:

- رائع إذن لن يكون هناك أي معارض لـ(بشير) ضمن قواته وسأنقل له أنكم طلبتم أن تقوم ميليشيا الكتائب بتأمين الحدود بين إسرائيل ولبنان مقابل انسحابكم من الأراضي البنانية وسيتم حشد ميليشيات الكتائب بكامل معداتها وجنودها على الحدود وساعتها تستطيعون تدميرها بشكل كامل فتقطعون بذلك ذراع (بشير الجميّل) العسكري وساعتها سيتوسل لكم أن يوقع معكم الاتفاقية.

أردف (شارون) وماذا لوم لم يحدث ذلك؟

(شهاب): لن تدفعوا ثمن شيء لم تحصلوا عليه ثم إذا انسحبت ولم يتم حشد قوات الكتائب كما أقول تستطيعون الرجوع مرة أخرى إلى لبنان؟

سأل (ديفيد كمحي):

- وكيف تضمن حقك في تلك الصفقة؟

ابتسم (شهاب) بخبث مصطنع وهو يقول:

- سأحصل على ٥ مليارات بعد تخلصكم من ميليشيا الكتائب والخمسة الأخرى بعد توقيع (بشير الجميّل) على إتفاقية السلام معكم.

نظر الإسرائيليون إلى بعضهم البعض ثم حدقوا بـ(شهاب) قبل أن يقول (شارون) بهدوء:

- وهوكذلك اتفقنا.

أخذت إحدى السيارات رباعية الدفع تشق طريقها عبر حدود إسرائيل الشمالية متجهة من بلدة (نهاريا) الإسرائيلية إلى (بيروت) الشرقية ترافقها عدة سيارات جيب عسكرية إسرائيلية تفسح الطريق أمامها وتفتح لها الحواجز الأمنية

التي وضعها الجيش الإسرائيلي على طول الطريق لـ(بيروت) بعد أجتياحه للبنان منذ ثلاثة أشهر ومن داخل تلك السيارة أخذت الفرحة أخيرًا تتسلل إلى نفس (شهاب) الذي سيذهب من فوره إلى (بشير الجميّل) ويجعله يعطى التعليمات بحشد ميليشيا (الذئاب)... ميليشيا (الكتائب) التي قامت بذبح الفلسطينيين واللبنانيين على حدٍ سواء منذ أندلاع الحرب الأهلية في لبنان منذ سبعة سنوات ليقوم (شارون) وجيشه بإبادتهم عن بكرة أبيهم ويمنع بذلك المذبحة البشعة مذبحة صبرا وشاتيلا من أن تقع كانت الفاتنة (راشيل شلومو) بداخل تلك السيارة أيضًا متوجهة من فورها لبيروت مع (شهاب) للتأكد من أنه سيقوم بتنفيذ اتفاقه معهم ومن ثم قتله..نعم قتله..بعد تنفيذ الاتفاق وهذا ما أمرها به (ديفيد كمحي) رئيس الموساد تحدثت (راشيل) لشهاب قائلة:

- لماذا لا تعمل معنا في (الموساد) بعد إتمام تلك الصفقة؟

نظر إليها (شهاب) دونما أي اكتراث بجمالها الصارخ وأنوثتها الطاغية وقال بسخرية:

– هل ينوي (ديفيد كمحي) التقاعد وتبحثون للموساد عن رئيس جديد؟

أرادت (راشيل) التعليق غير أن عدة انفجارات أصابت سيارات الجيب العسكرية التي أمامهم بغتةً وأتت عليها بسرعة مذهلة صرخت (راشيل) بقوة بالعبرية للجندي الذي يقود السيارة.

– توقف.. توقف.

انحرف الجندي بالسيارة بشكل حاد حتى يتفادى الاصطدام بالحطام المشتعل لسيارات الجيب الإسرائيلية والتي تفحمت بها جثث الجنود ثم ضغط على مكابحها بقوة فانقلبت السيارة عدة مرات قبل أن تستقر على أحد جوانبها ولمح (شهاب) من هذا الوضع المقلوب من يركض بسرعة باتجاه السيارة التي لايبعدها عن السقوط من أعلى سفح هذا الطريق الجبلي سوى متر واحد استطاع (شهاب) الخروج بسرعة من السيارة ليجد أمامه مطارديه عبر الزمن من وكالة الأمن الفضائي (ماكس أندرسون) و(استر سميث) والذي لم يتفاجئ بهم حيث رصد جهاز التنقل عبر الزمن الذي

يحيط بساعده وجودهم معه في عصر الثمانينات من القرن العشرين وهاهم يقفون أمام تحقيق مهمته كعادتهم[1] وقد أشهرا مسدساتهم الليزرية التي نسفوا بها ثلاثة سيارات جيب عسكرية إسرائيلية مليئة بالجنود ببساطة شديدة وقال (ماكس) وهو يحدق بـ(شهاب):

- لن تفلت مني تلك المرة أيها المتسلل.

في الوقت التي بدت فيها (استر) متحفزة تمامًا وهي تنظر لـ(شهاب) وقد ارتسمت فوق وجهها الجميل ابتسامة النصر.

استردت (راشيل شلومو) وعيها ومن داخل تلك السيارة المقلوبة وعبر جهاز اللاسلكي طلبت المساعدة ورأت رجل وإمرأة يصوبان مسدسيهما نحو (شهاب) فاستلت مسدسها من حول خصرها ثم ركلت الجندي في وجهه عدة مرات بقسوة حتى استرد وعيه هو الآخر واشارت إليه أن يستل سلاحه ففعل وزحفا كلاهما حتى خرجا من السيارة من جهتها البعيدة عن (شهاب) وصُحبته وبشكل مباغت

(١) راجع العدد ٣ سد الموت.

أطلقا النار على (استر) و(ماكس) فانتهز (شهاب) الفرصه وقام بهجومه الخاطف حيث ركل مسدسيهما الليزرين بضربة واحدة من قدميه في وقت واحد ولكن قبل أن تطيح إحدى قدميه بمسدسه (ماكس) كان قد أطلق دفقة من دفقات الليزر من مسدسه نحو (راشيل شلومو) وهي تختبئ خلف السيارة فانفجرت بقوة واشتعلت بها النيران وقام (ماكس) بركل (شهاب) ركلة قوية في بطنه في الوقت الذي هوت فيه راحة (استر) اليسرى فوق عنقه ولكن (شهاب) كان له رأيًا آخر كشأنه دائمًا حيث قفز بسرعة البرق متفاديا ركلة (ماكس) في نفس الوقت الذي تلقي ضربة (استر) على ساعده بسهوله وجذبها من معصمها بقوة وحملها فوق ظهره وطوح بها في الهواء بحركة رائعة من حركات(الجودو) وألقى بها نحو (ماكس) فارتطمت به بقوة وانتهز الفرصة وبدأ هجومه المضاد حيث قفز عاليًا في الهواء ودار حول جزعه ودفع قدمه اليمنى وركل بها (ماكس) ركلة قوية استقرت في بطنه أطاحت به بعيدًا ثم ثنى إحدى ركبتيه ودار حول قدمه المثنية ودفع الأخرى في بطن (استر) التي كانت تسدد له ركله قوية

من قدمها اليمنى فاسقطتها ضربة (شهاب) أرضًا و(ماكس) يصيح بغضب بالغ:

- أيها الوغد أين تعلمت كل هذا؟

قال (شهاب) بسخرية:

هل أعتبر ذلك عرضًا للعمل لدى وكالتكم الفاشلة أيها الخاسر؟

صاحت (استر) بسخط:

- لا تغتر كثيرًا أيها المتسلل سيسعدني أن أنتزع بنفسي كل ما أريده منك من معلومات حين نرجع بك للوكالة.

ثم سمع (شهاب) صوت هدير مروحية ترتفع من أسفل الوادي جاءت بناء على استغاثة (راشيل شلومو) قبل قليل وكان (شهاب) بالفعل في أشد الحاجة لها فقرر أن ينهي القتال بسرعة قبل أن ينفذ الفكرة التي لمعت في ذهنه الذي لا يتوقف أبدًا عن العمل حتى في أصعب الظروف، وكانت فكرة انتحارية بامتياز، فلكم (استر) خلف أذنها بقوة فأفقدها الوعي فصاح (ماكس) وهو يسدد لـ(شهاب) ركلة غاضبة قائلًا:

- سأمزقك أيها الوغد.

غير أن (شهاب) وبسرعة خاطفة قفز جانبًا ثم ركل قدم (ماكس) الثابتة التي يقف عليها فاسقطه أرضًا ثم ركض باتجاه سفح الجبل وقفز في الهواء نحو الهوة السحيقة التي تؤدي للوادي أسفل الجبل الذي ينخفض عن السفح مئات الأمتار فسبح بجسده في الهواء ومد ذراعيه القويين وفجأة ظهرت المروحية في نفس التوقيت فأمسك(شهاب) بقضيته الحديديتين إحدى إطاراتها ثم أفلت إحدى قبضتيه وتشبث بيد واحدة لينتزع بقبضته الأخرى الجندي الذي كان يجلس خلف الرشاش الثقيل المثبت أمام باب المروحية فيصعق الجندي من هول المفاجأة ولكن (شهاب) لم يمنحه الفرصة كاملة لذلك حيث جذبه بقوة ليسقط إلى أسفل الوادي وسط صرخات الرعب والذعر التي أطلقها وهو يهوي لأسفل ثم يرفع (شهاب) جسده بذراعيه القويين ويصعد للطائرة ويقرر أنه ليس بحاجة لطيارها الإسرائيلي الذي استقر أسفل الجبل هو الآخر ليلحق بزميله ويأخذ (شهاب) مكانه خلف

عصى القيادة وربما قد استهوت (شهاب) قيادة المروحيات الإسرائيلية في هذا العصر.

أخذ (ماكس أندرسون) يحدق بذهول فيما رآه للتو قائلًا بانبهار:

- يا للشيطان..الشيطان وحده هو من يستطيع القيام بذلك.

14

ساعة الحساب..

بحديقة فيلة (بشير الجميّل) بمسقط رأسه بـ(بكفيا) أخذت إحدى المروحيات العسكرية الإسرائيلية تهبط بمهارة واضحة وأخذ (بشير الجميّل) يراقب ذلك وسط حشد من حرسه الخاص في الوقت الذي طوقت فيه عشرات من عناصر الميليشيا المروحية فور هبوطها شاهرين بنادق الكلاشنكوف ومتأهبين لإطلاق النار وفوجئ الجميع وعلى رأسهم (بشير الجميّل) بـ(شهاب) يهبط من المروحية فاندفع (بشير الجميّل) على الفور نحو (شهاب) بلهفة واضحة وأمسك به من ذراعيه بقوة قائلًا بانفعال بالغ:

- ماذا حدث يا (موشي)؟ وماتلك المروحية؟ وكيف..

قاطعه (شهاب) بابتسامة مصطنعة قائلًا بالعبرية:

- إنها قصة طويلة يا(بشير)هيا نتحدث على انفراد.

وبداخل غرفة مكتب (بشير) بفيلته قال (شهاب):

- الجنرال (شارون) يرسل تحياته ويبلغك أنه سيقوم بسحب القوات الإسرائيلية إلى خط الحدود الدولية لتظهر أمام العرب أنك أستطعت طرد الجيش الإسرائيلي بعد أن كبدته خسائر فادحة في الهجوم الأخير.

بدا الذهول على وجه (بشير) وهو يقول:

- ولكن (بيجن) هل سيسمح بذلك؟

أردف (شهاب) بثقة:

- لقد أقنعهم الجنرال بأنه يستطيع عقد اتفاقية سلام معك إذا انسحب بقواته من لبنان.

اندفع (بشير) يسأل وماذا عن القوات السورية؟

أجاب (شهاب) قائلًا:

- ستُجبر الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي أن يُخرج السوريين من لبنان وخصوصًا بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي بل أن العرب نفسهم سيطلبون من سوريا الانسحاب من لبنان وتركه وشأنه لرئيسه البطل الذي استطاع هزيمة إسرائيل وستحكم لبنان بمفردك دون تدخل أحد وسيساعدك الجنرال (شارون) وبدعم أمريكي أيضًا

على تكوين جيش لبناني قوي بل أن الجنرال أقنع (بيجن) بأنه سيسمح لقواتك من ميليشيات الكتائب أن تتواجد بأكملها على الحدود لحمايتها من أي مخربين أو إرهابيين ممن يحاولون ضرب إسرائيل فوافق (بيجن).

قال (بشير الجميّل):

- هل تقول أن الجنرال يطلب حشد جيش الكتائب على حدود لبنان مع إسرائيل !!

قال (شهاب):

- ولك أن تتخيل ماذا سيفعل ذلك في المحيط العربي ستظهر وكأنك تحاصر شمال إسرائيل وهو مالم يجرؤ عليه أي حاكم عربي آخر كما أنها ستكون فرصة جيدة لتدريب تلك القوات وتسليحها ونقل الخبرة إليها بعقد مناورات مشتركة مع الجيش الإسرائيلي بعد عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل ونقلها من مرحلة الميليشيا لمرحلة الجيش النظامي على يد خبرائنا العسكريين.

ثم نظر (شهاب) في ساعة يده وقال لـ(بشير) وهو يقترب من أحد أجهزة التليفزيون ويقوم بتشغيله:

- أنظر جميع وكالات الأنباء العالمية تنقل على الهواء مباشر وقائع أنسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان.

وبالفعل شاهد(بشير الجميّل) على شاشة التليفزيون دبابات إسرائيلية وعربات مجنزرة وحاملات جنود تغادر لبنان باتجاه إسرائيل فنظر لـ(شهاب) وقد تهللت أساريره وهو يقول:

- ومتى سأقوم بحشد قواتي؟

قال (شهاب):

- أعطي لهم التعليمات بأن يتحركوا فورًا.

نظر إليه (بشير الجميّل) بنشوى بالغة وهو يلتقط سماعة الهاتف ويقول:

- حسنًا.. حسنًا يا (موشي).

ثم أخذ يعطى تعليماته للقادة الميدانيين لميليشيا الكتائب بالتقدم باتجاه الحدود مع إسرائيل والتمركز هناك.

- احتشد ما يزيد عن ثلاثين ألف عنصر من عناصر ميليشيا حزب الكتائب اللبنانية وكان هذا العدد يمثل قوة الميليشيا بالكامل مع سلاح المدرعات والذي يقدر بنحو ١٣٠ دبابة و١٨٠ مدفع مابين مدفع ثقيل ومتوسط ومضاد للطائرات ومئات من العربات المجنزرة وحاملات الجنود وقد قام سلاح الهندسة بالميليشيا بانشاء ثكنات ميدانية استعدادًا لتمركز تلك القوات صاح أحد الجنود من فوق تلك الدبابة السوفيتية الثقيلة والتي حصلت عليها الميليشيا مع ٣٠ من مثيلاتها من سوريا عام ٧٦:

- الجو صحو اليوم يا (بطرس) ويبعث على النشوى.

قال له زميله والذي جلس على جنزير إحدى الدبابات المقابلة له:

- بالفعل يا (موريس) هيا اقفز من دبابتك لنلهو قليلًا مع بعض فتيات الحزب تحت أشعة الشمس الدافئة وذلك النسيم العليل.

كان (بشير الجميّل) قد أعطى تعليماته بحشد قوات الكتائب وأمرهم بالاسترخاء وانتظار تعليمات أخرى

لدرجة أنهم لم يصطحبوا معهم أي ذخائر إلا فقط لسلاحهم الشخصي وبنادقهم الآلية وانبرى الجميع في الرقص مع مجندات الحزب وآخرون أخذوا في الالتفاف في حلقات كبيرة تتوسطها العديد من الفتيات يرقصن على إيقعات الرقص الشرقي المنبعثة من عدة ميكروفونات تم وضعها أمام أجهزة الكاسيت في الوقت الذي أخذ فيه آخرون يلعبون كرة القدم وآخرون انشغلوا في إعداد الشواء وآخرون في تناول الخمور مع رفيقاتهن بعد أن أفترشوا العشب الخضر وفجأة انبعث من حولهم الجحيم حين امتلأت السماء بطائرات الفانتوم الإسرائيلية التي أخذت تقصفهم بلاهوادة مدمرة دباباتهم ومدفعيتهم وجميع معداتهم وتطايرات أشلاء الجثث في الهواء وانتشرت برك الدماء في كل مكان عبر الحدود حول تلك الجثث الممزقة وأخذت صيحات الرعب والذعر تتعالى ويتردد صداها في هذا الخلاء وأندفعوا كالفئرن محاولين الهرب أو الاحتماء بأي شئ لكن طبيعة الأرض المنبسطة المفتوحة لم توفر لهم أي ملاذ ومما زاد من حجم رعبهم وأكد أن الإسرائيليين قد قرروا إبادتهم بشكل كامل هو زحف عشرات الدبابات الإسرائيلية نحوهم تطلق حممها وتفتح

رشاشاتها الثقيلة باتجاهم وتقوم بحصد المئات منهم دفعة واحدة ومن خلف الدبابات أخذت المدفعية الإسرائيلية الثقيلة تقصفهم بوحشية وتحولهم إلى كتل من اللحم المفري كان جحيمًا بمعني الكلمة استمر لعدة ساعات حتى لقي الثلاثين ألف بالكامل مصرعهم وتم تدمير جميع معداتهم وآلياتهم بشكل تام وأفترشت الحدود ثلاثين ألف جثة ممزقة وأخذت النيران تشتعل في آليات ومجنزرات ودبابات حزب الكتائب اللبنانية التي طالما أقترفت جرائم الإبادة ضد العزل والمدنيين.

15

الختـــام..

أصاب الذهول (بشـير الجميّل) وهو يشاهد على التلفاز المجـزرة التـي وقعت لميليشـياته ثلاثين ألف جنـدي هي كل قواتـه مع كامـل عتادهم العسـكري تم تدميرهم بشـكل تام في غضـون عدة سـاعات على يـد حلفاؤه الجيـش الإسرائيلي وقائده (شارون) أخذ (بشير) يصرخ بهيستيريا بالغة:

- أيـن (ريمـون أسـعد)؟ أين ذهـب؟ فلتأتـوني به على الفور.

قـال لـه أحـد معاونيـه ياسـيادة الرئيس السـيد (ريمون أسـعد) اختفـى تمامًـا لقد فتشـنا عنـه في كل مكـان ممكن أن يتواجد به ولم نعثر له على أي أثر.

صاح (بشير) وبات كمن يفقد عقله:

- أين ذهب؟ أين ذهب (موشي حاييم) بحق الشيطان؟

نظر إليه معاونه بدهشه وأردف قائلًا:

– من (موشي) هذا ياسيادة الرئيس أنـ...قاطعه بسخط بالغ:

– سأقتلكم جميعًا إن لم تأتوني به في الحال.

ثم أطلق عدة رصاصات من سلاحه الشخصي وأخذ يصرخ كالمجنون:

– هيا.. هيا.. تحركوا لا ترجعوا من دونه لاترجعوا من دون (موشي).

في الوقت الذي اندفع فيه عدة مسلحين من حرسه الخاص وقال قائدهم بتوتر بالغ:

– الأشرفية كلها تغلي ياسيادة الرئيس بعد سماعهم أخبار المجزرة التي وقعت على الحدود ومقتل أبنائهم وبناتهم وهم يقتربون ويحملون السلاح يجب أن تهرب يا سيادة الرئيس فورًا يجب أن...قاطعه (بشير) وهو يصرخ في وجهه:

– أصمت أيها اللعين (بشير الجميّل) لايهرب أبدًا.

ولم يكد ينهي آخر كلماته حتى أندفع المئات إلى داخل فيلته وتعالت الصيحات الغاضبة:

– أنت خائن يا (بشير).

- لقد قتلت أبنائنا وبناتنا.

- لقد فضلت الرئاسة علينا يا (بشير).

كان جميعهم مسلحون وأعضاء في حزب الكتائب وكانوا غاضبون لدرجة الغليان غير أن (بشير) صاح بهم بعد أن هرب حرسه:

- فلتسمعوني لقد حاربت من أجلكم وواجهت الموت عشرات المرات و.... قاطعه أحد الملثمين بغضب بالغ:

- أصمت أيها الحقير لقد دمرت جيش الكتائب بمؤامرة دنيئة مقابل منصب الرئاسة أيها الوغد.

حاول (بشير) أن يتكلم غير أنه فتح عليه النار من بندقية آلية كان يحملها فاخترقت الرصاصات جسد (بشير الجميّل) وجحظت عيناه واندفعت الدماء من كل مكان بجسده وامتزج ألم الموت بذهول الدنيا كلها على وجهه ثم رفع يديه عاليا وضم قبضتيه وكأنه يتشبث بشئ ما قبل أن سقط صريعًا على الأرض وكشف الرجل عن وجهه وكانت المفاجأة أنه (إيلي حبيقة) الذي نجى من قصف مخبأه وسادت حاله من الارتباك والتدافع بين الجموع الغاضبة جرت خلالها أعمال

السلب والنهب والتدمير لمحتويات فيلة (بشير الجميّل) ووسط هذا الاضطراب وتدافع مئات الغاضبين في تلك المساحة الضيقة أخذت (راشيل شلومو) التي استطاعت النجاة بإعجوبة من الانفجار الذي ضرب السيارة التي كانت خلفها تطلق النار على عملاء وكالة الأمن الفضائي بعد أن نسفها (ماكس) بدفقة ليزرية تحاول الفرار وهي في حالة من الذهول والصدمة بعد مقتل (بشير الجميّل) إلا أن شخصًا أنتزعها من معصمها بقوة قائلًا بتهكم:

- لم العجلة ياعزيزتي؟

ونظرت إليه وبدا الذعر يكسو ملامح وجهها الفاتن حين وجدته (إيلي حبيقة) حاولت تمالك نفسها واستغلال أنوثتها كعادتها وهي تعانقه قائلة:

- حمدًا لله يا (إيلي) لكم اشتقت إليك و... قاطعها قائلًا:

- وأنا أيضًا يا عزيزتي لن نفترق بعد اليوم فلنتزوج الآن.

ثم مد يده في جيبه ونظر إلى وجهها الفاتن وابتسم ابتسامته الصفراء وألبسها في أحد أصابعها الخاتم.. الخاتم الذي أعطته لـ(جورج الجميّل) ليحدد به موقعه كي تتخلص منه ولكن (حبيقة) ألقى به من يده في اللحظات الأخيرة ثم عاد والتقطه بعد القصف ونزع منه جهاز الإرسال، اتسعت عينا (راشيل) بذعر بالغ وهمت بالحديث لولا أن استوقفتها عدة طعنات نافذة سددها لها (إيلي حبيقة) بنفس الخنجر الذي قتل به (جورج الجميّل) فاخترق الخنجر جسدها الفاتن الذي اندفعت الدماء منه بغزارة فجحظت عيناها الجميلتين بقوة وهي تصرخ بألم شنيع وأخذت تنتفض بشدة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة وهو ينظر إليها قائلًا بسخرية وسط التدافع الشديد من حوله:

- يجب أن تسعدي يا عزيزتي لقد مت وأنت زوجة (إيلي حبيقة).

أخذ أحد الصحفيين الأجانب يتجول بمخيم (شاتيلا) للاجئين الفلسطينيين جنوب (بيروت) وتوقف عند أحد

البيوت وكان كوخًا بسيطًا وطرق عدة طرقات على بابه المتهالك وانتظر حتى فتح له الباب مُسن فلسطيني تجاوز السبعين من العمر فقدم له الصحفي الذي يجيد العربية نفسه وأنه يريد أن يقوم بعمل تحقيق صحفي عن معاناتهم داخل تلك المخيمات لنشره في جريدة التايمز البريطانية رحب به العجوز وأدخله لبيته المتواضع وجمع له أفراد عائلته وسط تأثر الصحفي البالغ حين رأى الصبي اسماعيل وأمه العجوز وأخته وهي تحمل رضيعها فوق كتفها وأخته الأخرى الحامل في شهرها الأخير وكان الجميع سعداء به وأخذ الصحفي يبادلهم الحديث بود بالغ حتى قال اسماعيل للصحفي بحماس بالغ:

- لقد قضى اليهود على كلابهم من ميليشيا الكتائب وأبادوهم وقُتل (بشير الجميّل) وسيعم لبنان السلام بالتأكيد بعد رحيل هؤلاء السفاحين.

ابتسم الصحفي بشجن بالغ وهو يضع يده بحنان على رأس (إسماعيل) التي حطمها مجرمي ميليشيا الكتائب ببلاطيهم الحادة بلا رحمة قبل أن يأتي (شهاب) لهذا العصر

لإنقاذهم وها هو يجلس معهم ويتحدث إليهم وإن ظنوا أنه صحفي إنجليزي يجيد العربية ولم يمضي كثيرًا من الوقت تناول فيها (شهاب) مع تلك الأسرة الفلسطينية الصامدة كوبًا من الشاي وهو كل ما استطاعوا أن يقدموه له لفقرهم المُدقع حتى ودعهم وانطلق نحو مهمة جديدة بالتأكيدة مهمة مستحيلة يجب عليه أن يُنجزها.

تم بحمد الله